

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزايم الوهابية

بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيي محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



HAKİKAT KİTABEVİ

Darıüşşefaka Cad. No: 57/A P.K. 35
34262-Fatih İSTANBUL Tel: 523 45 56
TURKEY

1986



المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

قال العلامة محمد ابن علي بركوي في الطريقة المحمدية

فإن قيل كيف التطبيق بين قوله صلى الله عليه وسلم

كل بدعة ضلالة وبين قول الفقهاء إن البدعة قد تكون مباحا
كاستعمال المنخل وقد تكون مستحبا كبناء المنارة والمدارس
وتصنيف الكتب بل قد تكون واجبا كظيم الدلائل رد شبه
الملاحدة ونحوهم قلت البدعة معنى لغوي عام هو المحدث
مطلقا عادة أو عبادة لأنها اسم من لا يتداعى بمعنى المحدث
كالرفعة من الارتفاع والخليفة من الاختلاف وهذا هو القسم
في عبارة الفقهاء يعنون بها ما أحدث بعد الصدر الأول
مطلقا ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو النقصان
منه الحاد ثان بعد الصحابة بغير إذن من الشارع لا قولا ولا
فعلا ولا صرحا ولا إشارة فلا تتناول العادات أصلا
بل تقتصر على بعض الاعتقادات وبعض صور العبادات
فهذه هي مراده عليه الصلوة والسلام بدليل قوله عليه
فعليناكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين يعني
وقوله عليه الصلوة والسلام أنتم أعلم بأمر دينكم وقوله
عليه الصلوة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزاعم الوهابية

بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعياً محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



يطلب من المكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول - تركيا

هجري قمرى ١٤٠٧ هجري شمسي ١٣٦٥ ميلادي ١٩٨٦

﴿ تنبيه ﴾

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل ومنى
الشكر الجميل وكذلك جميع كتبي كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح

المكتبة التخصصية للرد على الوهاية

قيمة كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

كتاب كالتاريخية لكتاب

إهداء الكتاب

الى حضرة المجاهد الاكبر، المنهض حاله و الدال على الله مقاله سيدى ومولاي
الحاج عبد العزيزيه. خليفة المسلمين وخادم الحضرة الاحمدية فى افريقية الغربية.
إننى أتشرف باهدائكم هذه المؤلفه المتواضعة تقديراً لمساعدتكم الحميدة و
مجهوداتكم الجبارة التى ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام والمسلمين. ويسعدنا ان نؤكد
فى هذه السطور مالفصيلتكم من أياذ بيضاء. و مواقف غراء، فى مختلف القضايا الاسلامية
منها، و الوطنية. لقد كنتم — يافضيلة الشيخ — السند الأقوى و القدوة الحسنى لابناء
هذه الامة المسلمة. و قمتم خير قيام لتحقيق التضامن و اصلاح ذات البين فى ظروف يكاد
التعصب بين الطرق الصوفية، و المذاهب الفروعية. يمزق شمل الامة و يوهن قُوَّتها أو
يقضى عليها بالكلية.

و لكن لحسن الحظ و بفضل ما اوتيتم به من الحكمة و فصل الخطاب، استطعتم
ان تفهموا كل من يفهم القول بان الطرق و المذاهب مهما تعددت و تخالفت فى الاشكال
و النظم، فانها تهدف الى تحقيق غاية واحدة و هى توجيه العباد الى معالم العبادات و
جعلهم أمة متحدة ذات هدف و شعور مشتركين و قد تحقق بحمد الله تعالى فى عهدكم
الزاهر الشئ الكثير من تلك الاهداف الغالية. فنسأل الله العلى القدير ان يجعل سعيكم
مشكوراً و جزاءكم موفوراً انه تعالى لا يضيع أجر المحسنين.

مقدمة

إنها محاولة كانت ولايد من ان نكتبها بمقتضى القضاء والقدر فلولا ذلك لما ظهرت الى الوجود لضعف مستويينا الثقافى والتعبيرى ولأن الكتابة تحتاج أيضا الى مزيد من الآلات غير المداد والقلم. فلما متزودين بتلك الآلات التى هى معرفة اساليب الانشاء، وقواعد التركيب والترتيب. ولما كذلك من عارفى التصنيف ولما الفى التأليف. ولما سلكنا مسالك غيرنا، وتحملنا بالاحول لنا به ولا قوة. والحق ان سلوكنا وتحملنا بهذا وذلك انما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الَّذِينَ نَصِيحَةُ)

هذا ولم يكن ليخطر ببالي ان اكتب مثل هذه الرسالة الا بعد ان جالست بعض الوهابيين عدة مرات، وناقشت معهم شتى الموضوعات الدينية. واضف الى ذلك ما رأيته فى الكتب من مؤلفاتهم، وما استمعت اليه من محاضراتهم وندواتهم فظهر لى ما يسرونه لغيرهم وما يعلنون. ووجدتني - والحال هذه - مضطرا للدفاع عن المظلومين و ان اكف أيدي المعتدين عملا بقوله تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * الشورى: ٤١) وقوله عليه الصلاة والسلام: (أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) هذا ويمكن التحقق بان الهدف الوحيد والغرض الرئيسى من تأليف هذا الكتاب هو بث الحقائق الاسلامية، وتخليص ذوى الافهام المنحرفة من ورطة الافراط والتفريط لا غير. ولست أقصد من وراء هذا العمل الا الشفقة على الاخوان المسلمين علما بان انتقاد اولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة - والعياذ بالله! - وليس لى أى غرض الى شن الهجوم ضد الوهابيين او التعدى عليهم بالظلم والعدوان. كلا! وحاشا!

ولكننى فى الواقع انما اخاطبهم بلسان النصيحة وأذكرهم - ان نفعت الذكرى - بأن دعوتهم هذه، وان كانت فى البداية لأجل نصره دين الله الحنيف قد صارت اليوم - وبالله اسف - حجرة عثر فى طريق الاخوة الاسلامية، او شبه حجرة تحركها يد الشيطان فترمى بشرر العداوة بين المسلمين من جهة، وبين ذوى الارحام من جهة أخرى. او بعبارة اخرى ككرة تتقاذفها الاهواء بين فرق من الجهال وأفراد ممن يسمون أنفسهم (سُنَّيِّينَ)

على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بعنوانات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسى وحادرت كل الحذر حرصا على توفير العدالة المنطقية، ونظرا الى أن الحق أحق أن يُتَّبَعَ — إلتزمت ان لا اكتب فى هذه المؤلفه غير الواقع المشهود، استنادا على الحق. وخوفا من ان اكون كالناقد المتطرف الذى يعتمد فيما يكتب او يقول: على القيل والقال. أو على الرجم بالغيب (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * يوسف : ٨١)

هذا وأملى كبير فى ان يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة لقبول الحق آتياً كان مصدره. والله در القائل: (أَنْظُرْ لِمَعْنَى الْقَوْلِ لَا لِلْقَائِلِ وَالْحَقُّ مَقْبُولٌ وَلَوْ مِنْ جَاهِلٍ) وسميتها بالحقائق الا سلامية فى الردّ على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم انى اعتذر مرة اخرى لكل من اطلع عليها من النحاة وذوى الثقافة بأننى لا املك غير حسن الظن بالله وهو المسئول بأن يتمم لى المقصود. ويجعلها مقبولة لديه، خالصة لوجهه الكريم، نافعة لمن اطلع عليها، إنه ولى التوفيق والهادى بمنه إلى الصراط المستقيم.

الحاج مالك بة

نزىل مدينة «كوتبالا»

جمهورية «مالى»

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذى أنشأ وصور ونشهد ان لا اله غيرك يا من أسمع وأبصر والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد من بشر وأنذر القائل: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) وعلى اله وصحبه، ومن اوى ونصر

اما بعد فان الباعث الوحيد لى الى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين والرد على بعض الوهابيين المتطرفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحق ظن الجاهلية ويزعمون أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك حتى ولو أقر بالشهادتين و اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت. لأن الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية يجب الاقتداء بها بالقلب والقالب وكأن الوحي الالهي إنما أنزل على محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ) لا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. [١] وأقول بان هذه المزاعم وأمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذى هو الداء العضال فى كل زمان ومكان، والذى لا يقتل أعضاء الجسم وحدها إنما يقتل معها أعضاء الامة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التى مني بها مجتمعنا القومى فى عصرنا الحالى، جاءت نتيجة لسببين ظاهرين: اولهما: هو الجهل المركب الذى لا يميز صاحبه بين الخبيث والطيب ولا بين المندوب والمكروه ثم لا يعترف بجهله فيسكت. والثانى: هو عدم فهم بعض المسائل الدينية فهما حقيقيا، مما اتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات والاحاديث عن مواضعها فيترتب عليه إجرام البرئ تارة وإبرآء المجرم تارة اخرى.

ولأجل هذين السببين عمت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى الى قطع الارحام وهجران المساجد واختلاف المفاهيم والآراء، وأخيرا اختلط الدين بالطين وانتهى الأمر الى الفوضى. وقديماً سئل حكيم عن كثرة الخلافات فأجاب: (لو سكت الجاهل لارتفع الخلاف)

(١) اما اولئك الوهابيون المعتدلون الذين لا يعتقدون ذلك ولا يزعمون تلك المزاعم فلم يتوجه اليهم كلامنا اهـ.

ما احوجنا اليوم الى السعى وراء التفقه في الدين والاهتمام به ، كواجب مقدس . وما أجدر بنا للتمسك بالكتاب والسنة والتقيد بأحكامهما قولاً وفعلًا .

وما اسعدنا لو وقفنا صفا متحدا وقلبا واحدا ضد هذه الخلافات الهدامة و التقسامات الطائفية التي شأنها خلق التباغض والتقاطع بين افراد المسلمين وجماعاتهم و حبذا لو استحضرنّا بأذهاننا عهد الخلفاء الراشدين و سلكنّا بتصرفاتنا الدينية والدنيوية نهج المسلمين الاولين من المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ * فَتَحَ: ٢٩) وبقوله: (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ * المائدة: ٥٤)

وقد كانوا — رحمهم الله — مضرب المثل في التسامح والتناصح وحسن الجوازو جدير بنا — نحن الخلف — ان نحذو حذو سلفنا الاخيار ونمثل في كياننا أمة مسلمة متماسكة بمعنى الكلمة هدفها: الاعتصام بحبل الله و غايتها: القضاء على اسباب التحالف والتباغض بين افراد المسلمين وجماعاتهم . كما كان الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد خلفائه الراشدين رضى الله عنهم .

وهنا نطرح السؤال التالى: ما هى العلوم التى يجب ان نتعلمها لفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية؟ أهى العلوم التى فى الكتب العصرية و التى يؤلفها بعض المتقولين ممن لا يعتدُّ بأقوالهم ولا يحتجُّ بآرائهم وإنما يحبون فقط ان تشيع الخلافات بين الأمة؟ ام العلوم التى فى الكتب الأصلية المستنبطة من الكتاب والسنة ومن اقوال أئمة المذاهب ورجال الدين؟ و الجواب على السؤال واضح .

ولكى نفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية فهما حقيقيا لابدّ وقبل كل شىء من معرفة نصوص القرآن الكريم و أصول الحديث، و الفقه، و اللغة، و النحو، و غيرها...

فهذه كلها علوم ضرورية لا يستغنى عنها فى فهم الشريعة . و يجب تعلمها و الاعتناء بها بأكبر قدر ممكن . لأن ما لا يتم الواجب الآ به فهو واجب .

ولكن فمن المؤسف جداً أنّ بعض اخواننا الوهابيين لا يعرفون من هذه العلوم شيئا ومع ذلك فهم يدعون المعرفة و التدبُّن . و تراهم يتجادلون فى الدين آناء الليل و

اطراف النهار ويفسرون القرآن و الاحاديث الأسواق و الاندية العامة دون معرفة الناسخ او المنسوخ ولا سبب النزول ولكن بآرائهم الشخصية. فكثيرا ما يحرفون الكلم عن مواضعها و العياذ بالله. و في الحديث: (مَنْ قَسَرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَلْيَبْثَوْا مَقْعَدَهُ فِي النَّارِ) «اخرجه الترمذى» ولا تكاد تجد منهم من يعرف في الاسلام اكثر من وقائع التاريخ و قصصه المسرودة: كفتح مكة وقصة خيبر و أحداث بدر و أحد و حنين و ما أشبه ذلك من الحروب الاسلامية و تواريخ الخلفاء و الشخصيات البارزة.

و حيث كانت معرفة هذه الحروب مهمة في نظر الاسلام فإن معرفة نصوص القرآن الكريم و اصول الحديث و الفقه أهم بأضعاف مضاعفة. ذلك لاننا بواسطة هذه العلوم نصل إلى معرفة فروض الاعيان و التمييز بين الحلال و الحرام بينما لانصل إلى معرفة ذلك من خلال الحروب المذكورة.

و على هذا فإن طلاقة اللسان و معرفة هذه الحروب و تلك الاحداث لا تجعل الانسان عالما مادام يجهل فروضه و الواجبات عليه. ولا ينبغي للمسلم ان يصرف همه في تعلم هذه الحروب و تفاصيلها و ان يستغرق اوقاته في تتبع مواقعها و نتائجها، حين لا يعرف شيئا عن امور دينه و احكام عباداته. بل الواجب عليه أن يهتم أولا بتطهير قلبه و تحسين سلوكه و أخلاقه ثم يسعى الى معرفة ما يصلح به فرض عينه من احكام الصلاة و الطهارة، و الصيام. و ما الى ذلك من فروض الاعيان. و له بعد ذلك أن يتعلم ما يشاء من فروض الكفايات التي من بينها هذه الحروب و تلك القصص و الحكايات.

و مهما تغافل المرء عن تعلم فروض العينية و اشتغل بما دونها من القصص و الحكايات ليميل إليه قلوب العامة و يستجلب مشاعرهم و رضاهم كان مضيعا للوقت و خاسرا في الحال و المآل.

الاسلام وأهدافه في توحيد الأمة

الاسلام هو الدين الحنيف الأمر بالتأخي والتألف، والناهي عن التقاطع والتحالف، ويهدف هذا الدين القويم من خلال أوامره الربانية وتوجيهاته النبوية الى خلق جو يسوده التفاهم والتحابب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم وينادى بأعلى صوته الى الاعتصام بحبل الله والى اصلاح الأخوة الاسلامية ورعاية حقوق الجوارى في جميع المستويات. ويحرص هذا الدين كل الحرص على التماسك والتحابب بقدر ما يكره التباعد والتحالف. قال الله تعالى: (...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ... * الانفال: ٤٦) وقال أيضا: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * آل عمران: ١٠٣) ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَابَرُوا وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) رواه انس وقال عليه السلام: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ يَشُدُّ بِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ) رواه البخارى ومسلم وقال ايضا: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخارى ومسلم

والاسلام احرص شئ على التوافق والتعاون بين أبنائه ويظهر ذلك جلياً في كل توجيهاته، وتعليماته، وخاصة في قواعده الخمس التى هى: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. فالشهادتان تشكلان المورد الالهى العذب، الذى ترده القلوب والألسنة بين حين وآخر، فترتوى من ماء التوحيد الذى هو السبب الايجابى للحياة الأبدية والسعادة السرمدية

والشهادتان — بالمعنى الصحيح — تعبران عن لفظ التوحيد ومعنييه الحقيقين و هما أساس القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام.

والصلاة هى إجتماع مفروض بين المسلمين يؤمياً ليقوموا الى عملية العبادة بحركات متحدة من قيام، وركوع، وسجود، وجلس، وسلام. ويتكرر هذا الاجتماع خمس مرات فى اليوم، فيترتب منه التعارف بين المسلمين والتألف والتعاون فى كل المجالات.

أما الزكاة فهي من أجل مظاهر التعاون و التراحم بين المسلمين ومن أسرع جوارب التحابب و التعاطف بين الأغنياء و الفقراء، فالغنى يأخذ كل سنة جزءاً من ماله الخاص ليضعه تحت تصرفات أخيه الفقير و هو لا يريد منه الجزاء ولا الشكور. بل يعد ذلك من الواجبات الاجتماعية التي أوجبتها عليه احكام الشريعة الاسلامية العادلة. ثم يأخذه منه ذلك المحتاج شاكرًا إياه و الاسلام معاً.

ثم يأتي دور الصوم و كأنه يريد من الغنى ان يتعرف على الظروف التي تحيط بالفقير فيعيش معه نفس الظروف؛ من الجوع و العطش طيلة شهر كامل ليتسنى له بين حين و آخر، ان يتذكر احوال إخوانه الجائعين و ذوى الفاقة فيعطف عليهم و يواسيهم بما تملكه يده فيحصل له من الله الأجر و من إخوانه الشكر.

ثم الحج الذى هو المؤتمر السنوى للمسلمين حيث يتوجهون كل سنة الى اقدس الاماكن و اشرف البقاع. و هى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج و لزيارة الرسول صلى الله عليه و سلم فى المدينة المنورة و هو فرصة سانحة يغتنمها المسلمون لفائدتهم الدينية و الدنيوية فى آن واحد...

و الحج مظهر رائع من مظاهر التشابه و المساواة بين طبقات المسلمين من الأغنياء و الفقراء و داعٍ من دعاة التعاطف و عدم التحاصم فيما بينهم قال تعالى: (فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ * البقرة: ١٩٧)

تلك هى قواعد الاسلام الخمسة و هذه، توجيهاتها و تعليماتها و كلها تهدف أساسا الى توحيد صفوف المسلمين و جمع كلمتهم و احترام بعضهم بعضاً. و يتبين للمسلمين من خلال تأملهم الى هذه القواعد الاسلامية و تأثيراتها فى المجتمع بأنهم مطالبون بالتعاطف و التماسك بدلاً من التخالف و التخاصم كما هو الواقع اليوم.

و من هنا نرى و نحكم أن كل دعوة أدت الى التفرقة و الشقاق بين أفراد الامة فهى دعوة باطلة بأدلة الكتاب و السنة. و هى بالتالى دعوة بريئة من الاسلام، و الاسلام برئ منها مهما بلغ تأثيرها فى قلوب العامة و مهما كثرت أنصارها و أتباعها. و فى الحديث: (أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ أَقْنَى قَاضِرٍ بَوَّاءٍ عَفْءٍ)

فالدعوة الوهابية كما لا يخفى على أحد كانت و ما زالت مصدر الاختلاف و

الخصومات بين المسلمين، من لدن عهد احمد بن تيمية المؤسس الأول [١] لهذه الدعوة الى عهد محمد بن عبد الوهاب الذى جدد لها بعد أربع مائة سنة من وفاة ابن تيمية الذى كان قد واجه تهماً شتى، مما أدى فى الاخير الى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب تلك الدعوة وقد ظل مسجوناً الى ان وافته المنية رحمه الله.

وهنا نلفت انتباه القارئ الكريم الى أن احمد بن تيمية هذا كان واحداً من اكابر العلماء و كان فقيها مشهوراً بالزهد والتقوى، و يضرب به المثل فى علم الحديث و كان يلقب بشيخ الاسلام لأنه خالف جمهور العلماء فى بعض المسائل الشىء الذى حظ بدولته، الى اسفل الدرجات ولا غرابة فى ذلك فالجواد قد يكبو و السيف قد ينبو.

فقد كان من أمره انه يمنع السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم و يحرم التسوسل و الاستغاثة بالانبياء و الأولياء و يقول بان ذلك من الشرك بالله كما كان يطعن فى السادة الصوفية و فى اكابرهم من امثال الامام الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ) و أبى يزيد البسطامى (المتوفى ٢٣١ او ٢٦١ هـ) و ابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٦ هـ) و الامام العزالى (المتوفى ٥٠٥ هـ) و اضرابهم و كان يهاجم عليهم بافظع العبارات و يبالغ فى الرد عليهم و على منهجهم الصوفى. و ذلك ايضا هو النهج الذى سلكه خليفته محمد بن عبد الوهاب و أتباعه المعاصرون. و هناك مسائل اخرى يتعلق بعضها بالأصول و بعضها بالفروع خالفوا فيها جمهور العلماء و صاروا بها موضع الجدل و الخصومات بين المسلمين.

اما محمد بن عبد الوهاب فقد ظل هو الآخر يعاني مدة حياته حروباً حامية الوطيس بينه و بين علماء عصره الذين كانوا يعارضونه تماماً و يعتبرون دعوته من اخطر الدعوات فى تاريخ الاسلام. فقد رد عليه بعض الاساتذة و العلماء بأبلغ الرسائل و المؤلفات يحذرونه فيها من مغبة هذه الدعوة و ياشدونه التوقف عن شن هجماته ضد المسلمين الابرياء الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب و الضلال.

و من بين اولئك العلماء كبريما تائه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي [٢] الذى قال من جملة كلامه اليه : يا ابن عبد الوهاب انى نصحك الله تعالى ان تكف

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى المتوفى ٧٢٨

(٢) المتوفى سنة ١١٩٤

لسانك عن المسلمين فـ سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به، من دون أنه
فَعَرَفَهُ الصواب وأن له زيادة عن أنه لا تأثير لغير الله فإن أُنِيَ فكفَرَهُ حينئذ بحصوه ولا
سبيل لك الى تكفير سوء - لا عصه من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة
الكفر الى من شذ عن سوء - لا عصه اقرب لانه اتع غير سبيل المؤمنين قال تعالى: (وَمَنْ
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ،
جَهَنَّمَ وَتِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ) النساء: ١١٥) الآية من سورة النساء

«وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ:

و كنت أحوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الرد عليه و
سماه: بـ «الصواعق الالهية في الرد على الوهابية»

و هناك مائات من الكتب آلفت كلها في الرد عليه و على دعوته الوهابية و لنذكر
من بينها على الخصوص:

١ - الفجر الصادق في الرد على منكرى التوسل و الكرامات و الخوارق. *

٢ - جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي اضل العوام.

٣ - ضياء النهار لا يظلم شبه الأنوار.

٤ - الدرر السنية في الرد على الوهابية. *

٥ - شواهد الحق في استغاثة بسيد الخلق. *

٦ - ضياء الصدور لمنكرى التوسل باهل القبور.

٧ - السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة.

٨ - النقول الشرعية في الرد على الوهابية. *

فهذه جملة قليلة من قائمة الكتب المؤلفة قديما و حديثا في الرد على الوهابية و على
مبادئها الخطيرة و لم اذكر عبارات مؤلفيها رغبة في الاختصار و خوفا من التطويل.

و بعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية بـ «الدعوة الدموية» و ذلك نظرا الى أنها
متى ما دخلت في عائلة أو في مدينة بادرت - كما هو مشاهد - الى القاء العداوة و البغضاء
بين أهلها ثم لا يلبث او يكون الخلاف فالخصومة، ثم القتال، و إراقة الدماء.

فالدعوة الوهابية معروفة بهذه الصفات و مقترنة لها منذ فجر ميلادها الى يومنا هذا و التاريخ خير شاهد على صحة ما قلناه .

و نحن لو نظرنا الى احوالنا فيما قبل السبعينات اى قبل انتشار هذه الدعوة فى ربوع بلادنا ثم نظرنا الى ما هى نحن عليه الآن من التباعد و التخالف و التقاطع من جراء هذه الدعوة، لوجدنا العلماء صادقين فى هذه التسمية . و يخشى لو استمر هذا الوضع - لا قدر الله - ان تندلع حروب أهلية و مشاجرات دينية لاسبيل الى التخلص منها .

و أقول فان الدعوة الوهابية مهما بلغت من خطورة فى عهد زعمائها الأولين فانها اليوم - و الحق اقول - قد تطورت و بلغت منتهى الخطورة فى عهد أتباعهم المعاصرين . و خاصة أولئك الذين نعيش معهم فى الزمان و المكان نسمع و نرى ما يقولون و ما يفعلون . و انا لو اتفقون من انه لو قدر للشيخ ابن عبد الوهاب ان يعود الى الدنيا و يشاهد هذه الكيفية التى عليها بعض اتباعه اليوم، لتبرأ منهم كما يتبرأ المصلح من المفسد . ذلك لانهم اتخذوا هذه الدعوة كسلاح لمحاربة المسلمين و وسيلة الى قطع الارحام و التفريق بين الأمة

هذا و لم تزل الدعوة الوهابية مقترنة بحصوماتها و نراعاتها تقتفز من أرض لآخرى حتى وصلت الى جمهوريتنا «مالى» فتسابق اليها التجار و الرعاة الذين رفعوها فوق مستواها و غروا بها الشبان و الصبيان و بذلوا بكل مالههم من حول و قوة و ظهورا على القضاء بما كان عليه السلف الصالح و على انكار اولياء الله تعالى و السادة الصوفية، و رموهم بما لا يليق للاراذل فضلاً عن الفحول الكمل افتراء على الله و اساءوا بهم الأدب و نصبوا مشايخ التربية اصناما و تلامذتهم عبادا و ذكروا فيهم ما أنزه قلمي عن كتابته و كفى بذلك ظلماً و زوراً، و لم يعلموا ان لحوم أهل الله مسمومة و اكل السم سريع العطب و جاء فى الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِيْ أَوْ آذَى لِيْ وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِيَّ بِالْحَرْبِ) رواه البخارى و فى الحديث النبوى: (إِنَّ اللَّهَ شَرَّفَ الْكُفَّةَ وَ عَظَّمَهَا وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا هَدَمَهَا حَجْرًا حَجْرًا ثُمَّ أَخْرَقَهَا مَا بَلَغَ جُزْمَ مَنْ اسْتَحَقَّ بَوْلِيَّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)

و عن السؤال متى دخلت الحركة الوهابية الى جمهورية «مالى»؟ و من أدخلها؟ و كيف انتشرت فى مدنها و قرأها؟

فالجواب: ننا لا نعرف بالصَّطِّ تاريخ دحولا الى «مالى» ولا أول من دحبها و
كننا نعرف بالحقيقة انها تنشرت هنا بواسطة بعض التجار و لرعاة و بواسطة بعض
الطلبة المتوسطين من لاحرة لهم رافقه الاسلامى واما مذهب هؤلاء الى مكة المكرمة إما
لأداء فريضة الحج أو للتعليم فى المدارس هناك و بعد عودتهم الى أرض الوطن يؤكدون
لأهلهم و ذو يهم و كل من يتصل بهم بأنهم قد وحبوا الى مكة المكرمة ما يخالف دينهم
الذى كانوا عليه أولا، و يرمونهم بالتأكيد على اتباع هذا الدين و ترك ماسواه و نبذه وراء
ظهورهم. و يزعمون بذلك أنهم خرجوا من الكفر و دحبوا الى الاسلام من جديد فيستحقون
بأن يسموا أنفسهم سنيين و من لم يوافقهم على ذلك فهو سنده من المرسكين.

و من هـ يشرعون فى الإنكار و لتعير و يوجهون اليوم فتاوسة الى الآباء و الاحداد
و الى رجال الدين و عمماء لامة و يحمونهم لمسؤولية و يبالعون فى قدحهم و الاعتراض
عليهم و ربما يصبقونهم بالمشركين أو بدعيين!!

و عما ان الناس مولعون — عادة — بالشئ الحديد فان هذه الحركة قد حطبت
قبالا واسعاً لدى الاوساط العامة. ذلك كونهم يرون ان ما يبدل عن مكة المكرمة أو
بالاخرى ما يشاهد فيها قد يكون هو الدين القيم و ما عداه هو اصالال للعيد.

و فوق ذلك كنه فيس من المفروض سرعا ان يقتدى جمع المسلمين بأهل مكة
بحيث تكون مخالفتهم فى بعض لمائل الفقهية حروجا عن دين الاسلامى. فليس حراً
فى اقتداء أى مذهب من المذاهب الاربعة ساء، و هو حر فى أخذ اية طريقة من الطرق
الصوفية أراد، فلا ذنب عليه فى ذلك ولا عيب

الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع

ان تأثير الحركة الوهابية في مجتمعا الوطنى لأمر يبعث الى القلق ويهدد مستقبل المواطنين وذلك لمنعها اياهم التمتع بحسن الجوار واحترام بعضهم بعضا.

وقد ظهر للعيان توتر العلاقات الاخوية و قطع الوفاق بين ذوى القربى و اولى الارحام كما شوهد تغير الاحوال الاجتماعية من حسنة الى سيئة ومن سيئة الى أسوأ نتيجة لانفجار الثورة الوهابية فى الآونة الاخيرة، وليس من السهل التغلب على هذه الظروف الحرجة التى نعانىها فى الوقت الحاضر، والتى اخذ يفر فيها المرء الوهابي من اخيه الغير الوهابي بل ومن أبيه وامه و كل أصحابه يفر منهم فى حين لا ذنب لهم سوى انهم انخرطوا فى سلك السادة الصوفية أو رفضوا التعصب للدعوة الوهابية.

فالقادة الوهابية فى هذا البلد مازالوا مصممين على أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين أو الدنيا.

وعلى هذا يمكن القول بان الدعوة الوهابية - اذا كانت هذه شأنها - فهى متمسكة بأفكار خاطئة ومراعى باطلة لا تتفق والحقيقة الواقعة. فلو نظرت بشئ من التأمل الى قادة هذه الطائفة ثم قارنت بين أقوالهم وأفعالهم علمت يقينا بان لهم اهدافا و غايات تدفعهم الى التوسع فى قدح اعراض المسلمين و هتك حرمتهم والاعتداء عليهم بالظلم و العدوان.

فمن اهدافهم: التفريق بين الامة الاسلامية لينتهزوا فرصة تضليل العوام و استقلالهم باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية.

اما الغاية التى يسعون الى تحقيقها هى اثبات السنية لهم خاصة، و تكفير جماعة المسلمين من غيرهم.

وهذا ان دل على شئ فإنما يدل على سوء الظن بالمسلمين او عدم معرفة الاسلام بالوجه الذى حدده الرسول عليه السلام و معلوم انه صلى الله عليه وسلم كان قد سئل عن الاسلام فأجاب: (هُوَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ

الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) أخرجه الترمذى

و من هنا نتحقق خطأ اولئك الذين يكفرون المسلمين عمداً أو جهلاً بعد ما بين الرسول عليه السلام ما يجص المرء مسلماً و بعد ما نهى عن تكفير المسلم.

والادلة الواردة لسرد على مزاعمهم أكثر من ان تعد أو تحصى. فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم تكفير المسلم في عدة أحاديث منها: قوله عليه السلام: (إِذَا قَالَ الْقَرْءُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَقَدْ نَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا) رواه مالك والبخارى والترمذى

وقوله: (لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتَيْنِ) وقوله: (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا فِي حَقِّ الْإِسْلَامِ. وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) رواه البخارى ومسلم وقوله عليه السلام: (الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ) رواه البيهقى وقوله: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) الى غيره من الأحاديث المتواترة فكل واحدة من هذه الأحاديث تقتضى بأن لا يكفر المرء مسلماً مهما اغترف من ذنب

ونحب نتعجب كيف يتجاهل الوهابيون كل هذه الحقائق النبوية؟ وكيف يسمعون مخالفة الرسول في التمييز بين المسلم والكافر؟ وقد قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا * النساء ١١٥)

هذا لقد علمنا بمقتضى الأحاديث الآتفة الذكر بأنه لا يجوز تكفير المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله ويؤدى قواعد الاسلام الخمس على الوجه المشروع.

فإذا كان العلماء قد أجمعوا على ان الكافر اذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة قد دخل فى الاسلام، له ما للمسلمين من حقوق و واجبات. فكيف بمن ولد فى الاسلام ونشأ فيه ورضى به ديناً وهو يكرر هذه الكلمة فى اليوم أكثر من مائة مرة؟ فكيف يجوز تكفيره؟ مع العلم بأن الناطق بالشهادتين — فى حكم الشريعة الاسلامية — يعثر مسلماً بغض النظر عن خفايا قلبه فبعم ذلك يخص الله وحده وجاء فى اسهل المسالك قوله: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَى عَمِّ ... كُلُّ امْرَأٍ إِيمَانُهُ كَالِدَرَةِ)

وقال شراح هذا البيت: يجب الايمان بأن رحمة الله تعالى تعم كل أحد مات من

الانسان والخن ولم يكن له عمل صالح سوى الايمان بالله فقط...
 ثم نتساءل اذا لم تكن القواعد الاسلامية الخمس تميزاً للمسلم اذن فأين يوجد
 المسلم؟ وما الذى يجعل المرء مسلماً؟ وما هى علاماته ومميزاته؟
 فعلى الفادة الوهابية ان يفهموا بأنهم مخطؤون فى هذه الناحية وعليهم ان يتراجعوا
 عن هذه المعتقدات الفاسدة، وان يفهموا بان الاسلام ليس ملكاً لأيمانهم فيدخلون فيه من
 يريدون، او يخرجون منه من يشاؤون. فليتحققوا بأن الاسلام إنما يسير دائماً على نهجه
 الواضح المستقيم وعلى حسب البرنامج الذى وضعه لسارع الأمين صلى الله عليه وسلم
 الذى هو لا ينطق عن الهوى.

ولا يخفى على احد منا موقف الوهابيين المتصلب المعارض لجمهور العلماء و
 المتمثل فى التعارضات المضلة والدعايات الكاذبة. هبهم خاصتين حين رعموا ان الناس
 جميعاً قبل هذه الدعوة كانوا على ضلال ومعصية. وأنها هى الدعوة الوحيدة التى تعبى
 بإحياء السنة النبوية والمحافظة على لتوحيد. عما الله عنهم من هذه المزاعم اللاحقية
 التى لا حجة لهم بها ولا اساس لصحتها.

فنحن نستغرب جداً كيف تصور لهم 'أوهامهم هذه المرام العقيمة؟ فمن أين
 لهم تضليل الأمة الاسلامية جميعها أو تكفيرها ما لم تعتقد العقيدة الوهابية؟ فكيف حال
 لامة فى نظرهم قل ميلاد الزعيم الوهابى وقبل انتشار دعوته لحديثه؟ فهل السبح ابن
 عبد الوهاب هذا الا كواحد من افراد البشر يصيب ويخطئ؟ أم هو فى عداد المعصومين
 من الأنبياء والمرسلين؟ وهل من العدالة ان نصدقهم هو بمفرده وننبهه ثم نكذب غيره من
 اكابر العلماء وجهابذة الفقهاء؟

فهذا أمر لا يمكن — فى اعتقادى — ان يقبفه عقل مفكر مهما كان صاحبه عارقاً
 فى بحر التعصب، وكيف ما كان مغروراً...

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن اقرب دليل لمرء عبيهم وعلى احباط مزاعمهم قوله
 عليه الصلاة والسلام: (لَا تَخْتَمِعُ أَقْبَى عَلَى صَلَاةٍ) حرجه اترمدى عن ابن عمر وقوه:
 (لَا تَرَأَى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا بَصُرُهُمْ مِّنْ حَالِفِهِمْ) رواه الحاكم.

ومن اعظم خطيئهم بعد تكفير المسلمين بذكرهم على اولياء الله وكراماتهم مع

أنهم يصدقون بالاختراعات العصرية كالاداعات والتلفزات والصواريخ و الهواتف السلكية واللاسلكية وغيرها من الآلات الكهربائية التي تحير العقول ، والتي لم يكن الانسان لأول يحلم بها ولا يكاد يصدق بإمكان وجودها فهلا يؤمنو بأن الذي اعطى لعقل البشري المهارة على خترع هذه الاشياء العجيبة ، قادر على ان يعطى لأوليائه من لكرامات و خوارق العادت ما لا يدركه الفهم ولا يصل إليه القياس . وهو سبحانه و تعالى (فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ * البروج : ١٦) و (وَلَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ * الانبياء : ٢٣)

وعلى الرغم من ثبوت هذه الادلة فهناك جماعة غير قليلة من الوهابيين ينكرون على 'ولياء الله' و كراماتهم و يرفضون حصول الكرامات و الخوارق لهم ، زعما بأن مثل هذه ، اما يحصل للأنبياء خاصة دون غيرهم من أفراد البشر ، وينزلون هذه الكرامات و الخوارق ، منزلة السحر و الكهانة . ولهم في ذلك اقوال اعتدروا عن حكايتها مراعاة للادب و لعدم مناسبتها لحضرة 'ولياء الله تعالى اللهم الا ان أقول ساعنا الله و اياهم ، و أقال عثرنا . وعثراتهم ولا يدري هؤلاء المقصرون بأن ما جاز للنبي معجزة يجوز للولي كرامة و أن كرامات الاولياء و حوارقهم ثابتة في الكتاب و لسنة . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة موضع . منها قوله عز وجل في الاحبار عن السيدة مريم رضى الله عنها : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَخَذَ عِنْدَهَا رِزْقًا * آل عمران : ٣٧) و كان يجد عندها فاكهة لصيف في لستاء و فاكهة الشتاء في لصيف . وقوله لها : (وَهَرَى إِلَيْكَ يَجِدُغ النَّحْلَةَ تُفَاقِظُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَنِيًّا * مريم : ٢٥) و كما ذكر القرآن قصة المرسلين الذين أرسلهم نبي الله عيسى عليه سلام لى أهل انطاكية ليدعوهم لى عبادة الله فصاروا يبرؤن الأكمه و لأ برص و يحبون الموتى بدين الله و ذلك كرامة لهم و معجزة لنبيهم عيسى بن مريم عليه سلام [١] و قد بين كتاب الله العزيز كثيرا من الكرامات و الخوارق التي وهبها الله لبعض أوليائه و خصائصهم العلمية و العملية .

ومنها ان نبي الله موسى كان تسميذاً للسيد خضر عليهما السلام و كان قد استصحبه مدة من الزمن ليستفيد منه بعض العلوم . (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي فَمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا * الكهف : ٦٦) و أن صف بن برخيا أحضر لنسب الله سليمان

(١) و ذلك عند قوله تعالى (واضرِب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون * يس : ١٣)

عليه سلام عرس نفيس في قلب من صرفة نفس وقد كان هدهد يدله على الماء.

فكل هذه كرمات وحواري شتتھا الكتاب الكرمه حبيب لا يمكن انكاره ولكن مع هذه كرمه فلا يقتضي ثوب هذه الكرمات فضيلة الأولياء على الأنبياء - كما يتوهم بعض الجاهل - بل هي مئة مئة من شدة عيبهم بصورة ثرية ولا يستغرب ذلك فقد يوجد في شهر ما ليس في بحر وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يكون المنفصولة ما ليس بالفاصل. ومعنوه ان بهاية مراتب الأولياء هي نهاية مراتب الأنبياء فلا مطمع للولي ان يصل ان غدا ربي فصلا عن ان يحثوا ويفصل منه. ولكن فمن الواجب عينا ان نحترم أنبياء الله تعالى ونصنف كراماتهم ونعني بأن لدى أيد الأنبياء بالمعجزات هو الذي يُدّ لآلوانهم بالكرامات فيكرام فروع من معجزات الانبياء فكل كرامة نالها من نعم الله من معجزات الله وكذلك كرامة أنبياء هذه الامة فهي من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولذلك كان انكار الكرمات بكار المعجزات و بكار المعجزات بكذب للرسل وهو من الكفر الصريح والعياذ بالله. فلا ينبغي للمسلم - وحق هذه - ان ينكر على كرمات الأولياء مهم يغفل لأن يفصل بين الله يؤتيه من يشاء لا اعتراض ولا شك ان الجاهل خير من علم يؤدي الى انكار أولياء الله وكراماتهم.

فكل ما يحذر احونه لمسلمين عامة، واهل دين خاصة، ان يكفوا عن اذية الله به وكن حوهمهم. وان لا يدروا في معارضتهم في أية مسألة من المسائل فقهية لكونهم احذر من ان يكونوا على حجة وبصيرة مما هم فيه ولوانه مخالف للظاهر وقد قيل:

(فَسَلِّمْ لِأَهْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْكِيلٍ .: لَذِيكَ لَدَيْهِمْ وَاصْبِرْ بِالْأَذَلَّةِ)

هذا ولا يخور لاحد منهم كان عالما ان ينكر شيء على اساس عدم وجود ذلك في علمه، لان حوامع العلوم لا تتوفر لاحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبما الواجب عليه من السروع في الانكار ان يعرضه على طرق الشريعة كلها و حتى سار سبيلها الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ شَرِّ عَيْنِي خَافَتْ عَلَى ثَلَاثَ مِائَةٍ وَ سِتِّينَ طَرِيقَةً مَا سَلَكَ أَحَدٌ مِنْهَا طَرِيقَةً إِلَّا نَحَا).

فإن لم يعرضه على هذه الطرق أولم تكن له معرفة بها أصلاً، ففي إنكاره خطر عظيم. وقال العارف بالله: [١]

وقال آخر: وَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي عِلْماً وَمَعْرِفَةً

حَفِظْتُ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

ويستفاد من الحديث المذكور انه لا يجوز اتهام المسلم العارف ولا إنكاره ما لم يخالف طرق الشريعة كلها، كما فعل ذلك عبد الرحمان الافريقى، الذى سولت له نفسه الامارة بالسوء أن يؤلف كتاباً فى التقد على الطريقة التجانية والمجوم على شيخنا ووسيلتنا الى ربنا أبى العباس أحمد بن محمد التجانى^[٢] وعلى خليفته المجاهد فى الله الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما وقد سمى كتيبه هذا: ب «الأ نوار الرحانية لهداية الفرقة التجانية» وهو مطبوع يوزع مجاناً الى كل من يريده من المعارضين و المنتقدين لذلك يسعى الوهابيون للحصول عليه ليزدادوا بغضا وحقدا للسادة الصوفية بصورة عامة و للتجانين بصورة خاصة...

وانا شخصيا لن اهاجم على عبد الرحمان الافريقى ولا أنتقم منه لعلمى بأنه إنما يحارب الله ورسوله بمعاداته لأولياء الله وأصفياه. بدليل قوله تعالى فى الحديث القدسى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) رواه البخارى. وخصوصا هذا الولى الربانى والعارف الصمدانى الشريف الحسنى احمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وارضاه الذى هو يعتبر واحداً من أبرز علماء الاسلام وعلماء من اعلام الشريعة والحقيقة. فشرفه الدينى والنسبى، وتاريخه الحافل بالنشاطات الدينية والتوجيهات الربانية بالاضافة إلى مرتبته الموهوبة والمكسوبة يغنينى عن الدفاع عنه والاحتجاج له فمناقبه رضى الله عنه ومواقفه واضحة ولا تحتاج الشمس الى دليل.

اما إنكار عبد الرحمان الافريقى على الطريقة التجانية ومبالغته فى النقد عليها و على خاصة أصحاب لشيخ رضى الله عنهم فهو كما قيل: «وَأَذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ» فَمِى الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَاطِلٌ» او كقول الامام البوصيرى رضى الله عنه. «قَدْ تُكْرِ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ» وَيُكْرِ الْقَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

هذا وتتوفر لدى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه شواهد الكمالات الحسية و

(١) وهو السيد الحاج مالك مه رضى الله عنه فى كتابه فاكهة الطلاب ...

(٢) المتوفى ١٢٣٠ هـ .

المعنوية وحسبه فحرا كونه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيه غير هذا التعريف الذهبي لكفى.

فمن كانت هذه سيرته وهذا تعريفه لا يمكن لعبد الرحمان الاقربى وأمثاله ان يدنسوا عرضه او يشوشوا سمعته ولا يتضرر القمر بنبح الكلاب

و أعرف يقينا بأن تأليفه لهذا الكتاب سيمثل له كالباحت عن حشفه بظلفه، و أنه سيحاسب عليه لما في الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَهِيَ فِيهِ زُرْهَا وَ زُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

وهذه المؤلفه من أسوأ المحدثات لما فيها من المشورات الفظيعة و العبارات الشنيعة الموجهة مباشرة إلى الشيخ أحمد التجاني، و إلى الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما. و التي تهدف إلى تنويع سمعة الطريقة التجانية و إلى تجميدها و تحريفها عن موضعها.

و إذا كان هذا التأليف لا يأمرنا إلا بترك الطريقة التجانية التي مدارها الاستغفار، و الهيلة، و الصلاة على النبي. و لا ينهانا إلا من محبة لسادة الصوفية و موالاة أولياء الله تعالى. فما الفرق - يا ترى - بين هذا المؤلف المسبوق و بين أولئك الذين يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف..

و هناك من الوهابيين من اعرف أسماءهم و ألقابهم يأخذون «كتاب جواهر المعاني» إلى الاسواق و إلى أنديتهم العامة رغم مستواهم السافل في العلوم و الثقافة فيسترعون في مطالعته، جاهلين او متجاهلين عن مستوى هذا الكتاب الرفيع و ينظرون إليه بعين الاسكار و النقد و الاستهزاء و يؤولون عباراته بأقبح التأويلات حين لا يعرفون أن لأولياء كلاما لا يفهمه إلا الخواص و رحم الله من قال:

«كَلَامُ الْأَوْلِيَاءِ لَسْتُ أَفْهَمُ ۝ لَا نُنَى نَبَاَنَا وَهَهُ هُمُ»

و يقول هؤلاء في الشيخ أحمد التجاني رضى الله عنه - على مرأى و مسمع من الناس - ما هو بريئ منه. و يخوضون في قدح عرضه، و هتك حرمانه ما امكن لهم الخوض و يتسافسون في ذلك حسب و قاحتهم و عنادهم و يمكرون به، و بطريقته و يعكر الله بهم و هو خير الماكرين و هكذا شاءت الارادة الالهية ان يكون لأولياء الله في كل زمان و مكان

أعداء يتحربون صدهم و يتأمرون - ليطفئوا نور الله بأفواههم - و يقولون في حقهم منكراً من القول وزوراً و يأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره متأمرون.

وقد كانت هذه الفرقة المتطرفة اليد الطولى في هذا المضمار لما جبل أفرادها من السفف لسطعن بأولياء الله و قدح اعراضهم و هتث حرمااتهم و إساءة الأدب بهم بصفة لا مبرر لها ولم يسبق لها مثيل.

الوهابية ومنعها التوسل بالأنبياء والصالحين

قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع و البحث عن أحكامه و أهدافه يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسى الذى يمثل جوهر المشكلة و لب الخلاف بين الوهابيين المتطرفين و المسلمين المعتدلين. ذلك لأن الوهابيين ينعون التوسل بالأنبياء و الأولياء و الصالحين و يببالغون في نفية و نكارة بل و يحرمونه اطلاقاً و يزعمون انه من الشرك بالله. و يحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين و من يعبدون الأصنام على المتوسلين و المستغيثين بالأنبياء و الصالحين. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) الاحقاف ٥: و قوله جل شاناه: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا الجن: ١٨) وقوله: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الطَّالِمِينَ يونس: ١٠٦)

و يزعمون أن كل من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو توسل به أو غيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين أو نادى بهم أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً في جملة هؤلاء لمسركين و داخلين في عموم وعيد هذه الآيات. و هو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، و يتخذ من دون الله شركاء. و من هنا تارتت ثائرة العداوة و الخلافات و قامت القيامة بين أفراد المسلمين و جماعتهم بصفة لا يمكن تسويتها طالما يُصر الوهابيون على هذا الموقف المتطرف المتمثل في تضليل الأمة أو تكفيرها و المتعارض لنصوص الكتاب و السنة و الاجماع.

والوهابيون — في هذا التأويل البعيد — معذرون من حيث الخطأ في فهم معنى كلمة «الدعاء» التي تأتي حيناً بمعنى العبادة وأحياناً بمعنى النداء وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لا غير. ولذلك يحرّمون نداء غير الله كما تحرّم العبادة من دونه تعالى. وحيث ذهبوا هذا المذهب ووقفوا عند هذا الحد فهم مقصرون عن ادراك كنه هذه الكلمة لغةً واضطلاحاً فيجب أن نعتذر لهم أو ننذرهم.

وكلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معانٍ:
منها: العبادة كقوله تعالى: (أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً * الجن: ١٨)
ومنها: السببة كقوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم * الاحزاب: ٥) اى انسيوهم اليهم
ومنها: النداء كقوله تعالى: (وادعوا شهداءكم من دون الله * البقرة: ٢٣) اى نادوهم

ومنها: السؤال كقوله تعالى: (ادعوني استجب لكم * المؤمن: ٦٠) اى اسألوني
ومنها: الدعوة الى الشيء كقوله تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة * النحل: ١٢٥) الآية
ومنها: التمنى كقوله تعالى: (ولهم ما يدعون * يس: ٥٧)
ومنها: القول كقوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم * يونس: ١٠)
ومنها: التسمية كقوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً *
النور: ٦٣)

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية ان كلمة الدعاء تأتي بمعنى التوسل وقد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغةً وشرعاً. ولا سبيل إداً الى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة اهـ. فتأمل.
وكلمة «الدعاء» في جميع هذه الآيات الآنف الذكر وما أشبهها معناها العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الانسان حياً أو ميتاً يجوز شرعاً وضرورى ايضاً لتعلقه على الحوائج الشرعية والمعاملات الدينية والدنيوية وقد جاء نداء الأموات من الاحاديث الواردة في ريادة الصور كقول الزائر: (السّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ السّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ) ففي هذا النداء للاموات

خطابهم. وإنما يجب ان نميز بين كلمة «الدعاء» التى بمعنى العبادة التى بمعنى النداء، كيلا نضل ولا نُضل...

اما التوسل فجائز شرعا ومرغوب فيه أيضا لانه من فعل الأنبياء و السلف الصالحين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وقد توسل ابونا آدم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما فى الحديث: (لَمَّا افْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ اَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ اَخْلُقْهُ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي رَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِسْمَكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذَا سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ) رواه الحاكم وصححه الطبرانى.

والى هذا الحديث أشار الامام مالك رضى الله عنه للحليفة المنصور لما سأله وهو بالمسجد النبوى فقال لما لك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ام أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال له الامام مالك رضى الله عنه ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل أستقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك...

وأما صدور التوسل من النبى صلى الله عليه وسلم فقد صح فى احاديث كثيرة منها قوله: (اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِيْنَ عَلَيْكَ)

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب رضى الله عنهما لحدّها صلى الله عليه وسلم فى القبر بيده الشريفة وقال: (اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّى فَاطِمَةَ بِنْتِ اَسَدٍ وَوَسَّعْ عَلَيْهَا مَدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِى إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله فى حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح: ان الناس اصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه الى القبر الشريف وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام واخبره انهم يسقون وكان كذلك.

فإتيان هذا الصحابي الجليل الى القبر الشريف ونداءه للرسول عليه السلام ليطلب منه ان يستسقى لامته فهو دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم القربات وروى عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال: «اللهم انا كنا نتوسل اليك نبينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» قال فيسقون انتهى وفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجة على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم في حقه: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ) ومما ذكر في هذا الباب دليل على ان التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضى الله عنه ذلك، عند القبر الشريف.

وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضا لموافقته، بفعل سيدنا عمر بن الخطاب. الذى توسل الى الله بسيدنا عباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ... ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة قال فيها:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةٌ
وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا دُوشَفَاعَةٍ بِمُغْنٍ فَتِيلاً سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ»

فلم ينكر عليه رسول الله قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا. و كذلك من أدلة التوسل مرثية صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة رسول الله فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها:

«أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ رَجَاؤُنَا
وَكُنْتُ بِتَابِ بَرٍّ وَلَمْ تَكُ جَافِيَا»

ففيها النداء بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قوله يا رسول الله أنت

رجاؤنا. وقد ذكر العلامة ابن حجر^(١) في كتابه المسمى بالخيرات الحسان ان الامام الشافعي كان يتوسل بالامام ابي حنيفة رضى الله عنهما وقد ثبت ايضا ان الامام احمد بن حنبل كان يتوسل بالامام الشافعي وقد صح ان الشافعي رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوي بأبيات قال فيها:

«أَلِ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي أَرْجُو بِهِمْ أَغْطَى غَدَا
هُمْ إِلَيَّ وَسَيْلَتِي بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي»

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله عليه وسلم وبعضها عن أصحابه الكرام وعن الأئمة المحتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف الصالحين وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئا كثيرا من التوسل ولم ينكر عليهم احد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون الذين عمدوا الى تحريمه وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الأمة من العلماء والعباد والزهاد وقالوا انهم مثل اولئك المشركين الذين قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * الزمر: ٣) «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»

وحاصل شبهة هؤلاء المانعين لتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء — احياء — وأمواتا — اشياء جرت العادة بأنها لا تتطلب الا من الله تعالى ويقولون لولي مثلا: افعل لى كذا وكذا او نجنى من كذا وكذا فأراد هؤلاء المانعون للتوسل ان يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة.

نعم نحن نوافق مع هؤلاء المانعين في ناحية ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الايهام. ولكن من ناحية اخرى نقول لهم:

اذا كان الأمر كذلك وقصدكم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا

العامّة من نكت اللفظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الأدب في اتوسل دون تكفيرهم أو إسرارهم مع ان نكت اللفاظ يجب حملها على احدز العقل وهو جائز ومستعمل على السنة جميع المسلمين ورواها في الكتب بغير رواية المصهرة. الا ترى انه يجوز لأحدنا ان يقول أعطاني فلان كذا و منعتني فلان عن كذا، او بمعنى زيد أو ضربى عمر، مع العلم بان الله تعالى وحده هو نصار و دفع و هو المعطى و مانع فإستاد هذه الأفعال الى غير الله تعالى بعنبر بحار عقبا لا يؤدي بقائه الى الكفر ولا ان اشرك وله تواجد كنبرة في الكتاب و سنة. منها قوله تعالى: (وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ * طه: ٨٥) وقوله: (وَقُلْ ذَاؤُجَارِبُ * البقرة: ٢٥١) فإستاد الاضلال والقتل هالى السامرى و ن داود مجازى. و إلا، قال الله تعالى وحده هو لمصل والمب وجء في الحديث كما في صحيح البخارى في مبحث الحسرو وقوف الناس للحساب يوم القدمة. (بسم الله كَذَلِكَ إشتعلوا بآدم ثُمَّ يَمْوُصى ثُمَّ يُمْسِكُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وإستاد الاستدانة الى هؤلاء الأنبياء مجازى و المستغاث به، حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كنفها أدلة ثابتة وبراهين قاطعة لجوار اتوسل و الاستغانة بالأنبياء والأولياء والصالحين. وفيها الكفاية لمن اراد الله به الهداية ولتوفيق وأما من انطسست بصيرته ونسدت حواسه، فما تغنى عنه الآيات والندى ولا يفيد الوعظ والتمكين، ويحسن في توسل بالأنبياء والأولياء لاتعتد انهم مستحقون العبادة ولا نهم يحسبون شيئا او يملكون ضرا أو نصرا، ولا نعتقد أن لهم تأثير في شيء من الأشياء وكلما هناك يسا وبين الأولياء، بما هو احترم فقط غير حارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجودة من اعدم و اسعاند الى الفناء. لاكتضيم الخلق المعبود الذى لم يله ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فندأونا بهم لايمنى سوى لشرك بأسمائهم، والامتناس بذكرهم لكونهم عبادا مكرمين، صصاهم الله وهداهم، وحصهم محظوة من عنايته الربانية، وفيضة من صفحته الرحمانية، فبذكرهم تنزل الرحمة. وبه تحيى القلوب وتنشط العضلات.

وهذه هى غاية ما نقصد في التوسل بالأولياء والصالحين وليس فيها من يركع او يسجد لشيء، أو لول، أو لشيوخ، ولكننا لاتعبد الا الله ولا ندعو الا اياه. و في الحديث: (أَتَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ قَا نَوَى) ونحن نحمد الله تعالى من المؤمنين

الموحدين بكل ما للكلمة من معنى.

فالتوحيد عقيدتنا والعمل به، شريعتنا فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نهين بشريعتنا. (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يوسف: ٣٨) اما اولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذب عن التوحيد ويجوزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الامور الدنيوية ويحرمون ذلك في الأموات قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات مع أنه لا تأثير لاحد في الحقيقة حياً او ميتاً وإنما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وحده...

فلينتبه الوهابيون لهذه الحقائق وليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذي يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله. ولمزيد من التوضيح في هذا الموضوع فإن منكري التوسل بالانبياء والصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج التي فرضها الله علينا والتي من بينها: الطواف بالبيت العتيق وتقبيل الحجر الاسود والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات.

ومعلوم ان هذه الاشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع ولكن قد شرفها الله تعالى وعظمها وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها والدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والاخروية.

ونحن نعلم علم اليقين بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الاقدار ولكن هل يقال ان من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا! ولا كلا!

فاذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الانام فعند ذكرهم تنزل الرحات و بسبب وجودهم ترفع النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم وهو ان نداء الأنبياء او الأولياء نوع من انواع الشرك لانه نداء لغير الله ويقولون بأن ظاهر النداء لا بد و ان يدل على ان المنادى يعتقد من المنادى به القدرة او التأثير. وحينئذ فاعتقاد القدرة او

التأثير من أحد غير الله تعالى شرك لا محالة.

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جهة أو هامهم التي خالفوا بها الاجماع. ولكن لو استسلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف نجد ان ظاهر الصلاة والصيام والنطق بالشهادتين يدل هو ايضا على الايمان بالله والتصديق بما جاء به الرسول الكريم. و إذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قروا ان يكفروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا ان يعترفوا لهم الاسلام بظاهر الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين. فهل هذا — ان صح التعبير — إلا نوع من الجمود. أو أثر من آثار الجهل الذى هو أشد من الكفر...

و خلاصة الكلام: فان المحذور شرعا فى التوسل هو اعتقاد التأثير من احد غير الله تعالى كائنا من كان وهو شرك اتفاقا سواء كان ذلك الاعتقاد فى نسي او ولى او صالح أو حيوان أو جماد اوفى أى شئ كائن ما كان وأما من لم يعتقد التأثير فى احد غير الله تعالى فلا إثم عليه وليس فى مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالما.

اما محبة أولياء الله تعالى والصالحين وصحبتهم الله والتصدر لخدمتهم والتادب لهم والتبرك بهم فكلها جائز لا يمنعها الشرع بل يأمر بها ويحث عليها لانها من اعمال البر الموجبة للفوز والسعادة فى الدارين. ولا ينكر ذلك منكر لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة. و أصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها فى القرآن الكريم... وإن شئت فاقرأ قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) الكهف: ٩)

فإن هذا الكلب لم يصل الى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم لقد احسن من قال:

«وَ اخْتَرْنَا مِنَ الْاِخْوَانِ كُلَّ مُهْتَدٍ
إِنَّ الْقَرِينَ بِالْقَرِينِ يَتَقْتَدِي»
«وَصُغْبَةُ الْاِخْيَارِ لِلْقَلْبِ دَوَا
تَرِيدُ فِي الْمَرْءِ نَشَاطًا وَقُوًى»

واخيراً نحتم هذا الموضوع بتحذير أولئك الذين يكفرون المتوسلين والمستغِيثين بالأنبياء والصالحين ان يكفوا عن ذلك لانه قد يفضيهم الى ارتكاب الذنوب ويؤدى الى

تكفيرهم لجميع الامة او اكثرها وهو مستحيل لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ * آل عمران: ١١٠) الآية من سورة آل عمران و لقوله عليه الصلاة والسلام:
(لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذى

ما هو الشرك؟ و كم أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك احدا يستحق العبادة من دون الله تعالى او
هناك من يشارك الله فى الالهية او يساعده فى الابدان والتأثير.

ومن الشرك أيضا الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه او لغيره جلب المنافع او
دفع المضار أو هناك من يمكن له التصرف فى الامور والتأثير فى الكائنات من تلقاء نفسه.
ومهما اعتقد المرء شيئا من هذه المذكورات فى واحد من المحلوقات، سواء
اعتقدها فى نبي او فى ولي او فى شيخ او فى حيوان أو فى جماد كان مشركاً حقاً بالاجماع.
لأن المحلوقات كلها على اختلاف أشكالها وتنوع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقاً وهى
لا تملك جلب المنافع ولا دفع المضار ولا قدرة لها على التأثير فى حدوداتها فاعتقاد ذلك على
أى مخلوق، آدمى كان او غيره هو الشرك الأكبر وهو الكفر الصريح.

هذا وليس من المستحيل ولا من الغريب ان يقع بعض الناس غير المعصومين فى
اودية الكفر والضلال بينما ينهمك البعض الثانى فى المعاصى والمنكرات حين يتقيد
البعض الآخر بالشريعة الاسلامية والسنة الغراء.

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة والظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين و
جماعاتهم لان الله تعالى قد خلق الناس وهم مختلفون فى الذكاء والغباوة والضعف و
القوة ومتفاوتون فى الجهل والمعرفة والاجتهاد والتقصير وتبعاً لهذا الاختلاف الطبيعى و
التفاوت الفطرى فمنهم من يقترب من الاسلام الى حد مرضى عنه بحيث يأتمر الأوامر
و يجتنب النواهى، ومنهم من يستعد عنه و ينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل
فرد وطبيعته و الى تلك المراتب المتفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿٣٢﴾ ولكن هذا الأبتعاد لا يخرج المسلم المقصر عن دائرة الاسلام مادام يدين بالولاء لهذا الدين الخفيف وينتسب اليه فاذا صدر من المسلم بعض الاقوال او التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر وهولم يرد بها تغيير اسلامه ولا ارتداد عن دينه فلا يحكم عليه بالكفر ولا بالردة ومهما تورط المسلم في المآثم واقترف من جرائم فهو مسلم، لا يجوز اتهمه بالردة او الكفر وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَيْبَحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ) وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من ان يقذف بعضهم بعضا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية وقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر: (إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُ هُمَا)

ولا يعتبر المسلم خارجا عن الاسلام ولا يحكم عليه بالردة الا اذا انشرح صدره بالكفر واطمان به قلبه ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى: (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِكُفْرٍ صَدْرًا ﴿١٠٦﴾ النحل) ويقول الرسول عليه السلام: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)

ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشى عن تكفير كل من انتسب للاسلام حتى انهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم وذلك دفعا لضررهم لا لكفرهم.

هذا ولما كان ما فى القلب غيبا من الغيوب التى لا يعلمها الا الله تعالى وحده كان ولا بد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل.

وقد نسب الى الامام مالك رضى الله عنه انه قال: من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل امره الى الايمان.

فالشرك هو الكفر باللفظ والمعنى وبالجملة والتفصيل وهما ضد التوحيد المقرر من أصل الاديان السماوية عامة . ومن أصل هذا الدين الاسلامى خاصة . بشهادة الله فى كتابه العزيز حيث يقول تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٨﴾ آل عمران)

فالشرك بالله هو الكافره الجاحد بوحدايته المكذب بالأنبياء والرسل وبما جاؤا به

من عند الله من الدين والشرائع وهو اعظم أنواع الضلالة واشدها على الله وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي. لقد صرح القرآن الكريم ونبه في عدة آيات عن خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلنا بأن الشرك لظلم عظيم. وقال جل من قائل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ * النساء: ٤٨) وقال: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ * المائدة: ٧٢) وقال مخاطبا لحبيبه المصطفى: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْزِيَ عَنْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * الزمر: ٦٥)

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز لا تترك مجالا للشك في أن الشرك لعظيم وعواقبه وخيم.

هذا وينقسم الشرك الى ستة أنواع. شرك الاستقلال وهوائيات الهتين مستقلين كشرك المجوس. شرك التبعض وهو تركيب الاله من عدة آله كشرك النصارى. شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه الى الله زلفى كشرك مقدمي الجاهلية. شرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية. شرك الاسباب وهو اسناد التأثير لاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك. شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء لقوله عليه الصلاة والسلام: (الرِّيَاءُ هُوَ الشُّرْكُ الْأَضْفَرُ) «اخرجه احمد»

فحكم الاربعة الاولى الكفر بالاجماع. وحكم السادس المعصية من غير كفر بالاجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبيعتها فهو كافر بالاجماع ومن اعتقد انها تؤثر بقوة اودعها الله فيها ، وانها اسباب عادية فقط. وقد تتحلف عن مسبباتها في بعض الاحيان، والمؤثر في الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

وعلى هذا فان الشرك في الدين الاسلامي ضربان: أحدهما الشرك الجلى، وهو الاشراك في العبودية، وذلك اعظم كفر ونعوذ بالله منه. والثاني: الشرك الخفى وهو مراعاة غير الله معه في بعض الامور كأعمال المرائين وقد ورد في الحديث النبوى: (الشُّرْكُ فِي هَذِهِ الْأَقْيَةِ أَخْفَى مِنْ ذَبِيبِ السَّمَلِ عَلَى الصَّفَاءِ) ويعنى بذلك «الرياء» لقوله عليه

السلام في حديث آخر: (الْرِيَاءُ هُوَ الشَّرْكُ الْأَضْعَفُ) روه أحمد
فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء لا يخرج المسم عن دائرة الاسلام، وانما
يحط الاعمال فقط كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ
عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرَ اللَّهِ فَعَمَلُهُ مَرْذُوءٌ عَلَيْهِ)
وام الكفر فهو ايضا على اربعة اقسام: كفر الانكار، وذلك بان لا يعرف الله
اصلا ولا يعترف به و كفر الجحود، و كفر المعندة، و كفر لنفاق، فمن لقي ربه بواحدة
من هذه لم يغفر له. ويغفر الله ما دون ذلك لمن يشاء.
فأما كفر الانكار، فهو ان يكفر بقبه ولسانه ولا يعرف ما يذكره من التوحيد و
العبادات.
واما كفر الجحود فهو ان يعترف بقبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وجنوده من
شياطين الانس والجن.
واما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقبه و يقر بلسانه ولا يدين به ككفر
ابى جهل واضرابه.
وام كفر النفاق فهو الاقرار باللسان وعدم الاعتقاد في القلب كاللنا فقيين الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم في ذلك الى يوم القيامة.
و لكفر - على وجه التحديد - انما يكون بانكار الضرريين من الدين
الاسلامي، كانكار وجود لبارى و وحدانيته، وانكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم،
ورسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام او دنكار الفرائض كوجوب الصلاة او
بنيكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التي بنى عليها الاسلام.

الوهابية وإنكارها للبدع مطلقا

يفتتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين والتوجيه اليهم انتقادات حادة وخارجة عن الموضوع وبحارونهم يشتى الطرق والوسائل.

فمن ذلك الفاؤه على المسلمين شبهات للتلبس عليهم دينهم وتشويش عقائدهم ومحاولون احباط اعمالهم وبطردهم عن حظيرة الاسلام وإبعادهم عن حدود السنة. وهاهم ايضا ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها وما لا يجوز انكاره ويحتجون بالحديث القائل: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) رواه ابو داود وقد ساقهم ظاهر هذا القول الى تكفير جماعة من المسلمين وذم كثير من الابرياء ولوانهم فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون.

فالكل في اللغة العربية يأتي بمعنى البعض والبعض يأتي هو أيضا بمعنى الكل. فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة من العام المحصوص.

و البدعة كما ذكرها العلماء والفقهاء تنقسم الى خمسة اقسام: واجبة، و مندوبة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. و كلها مفصلة في الكتب المطولات. فمن لم يقدر على تمييزها كلها فحقه السكوت والا خيف عليه ان يحلل الحرام او يحرم الحلال وكلاهما ممنوع شرعا وفي الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم والنسائي

وهذا الحديث اقوى دليل على ان البدعة اذا كانت حسنة فهي داخلة في عموم التريعة لمحمدية، وانكارها هو البدعة المحرمة والدليل عليه في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ * يس: ١٢)

و إذا تأملت الحديث المذكور علمت يقينا بأنه صلى الله عليه وسلم قد اجاز لنا استداع ما هو حسن وسماء سنة وجعل فيه الأجر للذي ابتدعه أولا، ولمن عمل به، الى يوم القيامة ثانيا ولا يسمى شئ بدعة حتى يخالف صريح الكتاب والسنة فمتى وافهما فهو سنة حسنة يكون لمستدعه أجره وأجر من عمل به، الى يوم القيامة.

قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صلاة التراويح. «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»

هذا ولا بد من التمييز بين البدعة المستحسنة و البدعة المستقبحة و الاعتراف بواقعية كل منهما وإلا فلا مجال للانكار..

و معلوم ان العلماء قد اشترطوا لجواز النهى عن المنكر شرطين: الأول معرفة المنكر و الثانى أن لا يؤدي نهيه الى ارتكاب ما هو أعظم منه

و كثر الوهابيين فيما يكرونها ليوم، من البدع و المكروهات يرتكبون اعظم منها لأنهم بأنكار هذه البدع يكفرون المسلمين الموحدين الذين هم في واد و الكفر في واد — لا جرم — ان تكفير المسلم الموحداً أكبر و اخطر من ارتكاب بعض البدع و المكروهات. و أعجب شيء منهم هو انهم يتأثرون للبدع و المكروهات و ينكرون عليها بشدة، أكثر مما ينكرون على المحرمات كالكذب و الغيبة و السحرة و نحوها من الكبائر. و قلما يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر الفاشية تأثيره للبدع و المكروهات و شأنهم هذا شأن من يبنى قصراً و يهدم مصراً. و كان عليهم ان يقدموا الأهم فالأهم..

ولا يخفى ان القاعدة الاسلامية تقتضى ان لا يقول أحد قولاً ولا يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه، و إلا فهو على خطر يحشى منه تحريم الحلال او تحليل الحرام.. ولا يعتنى بهذا انما نجوز البدع كلها او نسعى الى تشجيع البدعيين و المحالفين، بل بالعكس! فنحن ضد البدع المحالفة للكتاب و السنة و ضد الاوهام و الخرافات الباطلة ايا كان مصدرها نسعى الى قمعها و القضاء عليها بكل ما اوتينا من حول و قوة. و لكننا في نفس الوقت نعتز بان هناك بدعاً لا بأس بها اذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات او المستويات لان كل ما يتوصل به الى الواجب واجب. و ما يتوصل به الى السنة مندوب. و يؤمن كذلك بان البدع - كما ذكره لفهاء - تنقسم الى خمسة اقسام واجبة، و مندوبة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. لكل واحدة منها حكمها و منزلتها.

ولذلك نرى وجوب التمييز بين البدعة الحسنة و البدعة القبيحة لنسمى الأولى سنة كما في الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ونسمى الأخرى بدعة كما في حديث آخر: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)

ولا ينبغي ان نحكم على البدع كلها من خلال ظاهر الحديث القائل كل بدعة ضلالة. لعلمنا بان هناك اشياء نستعملها اليوم في شئوننا الدينية والادارية تمشياً مع تطور العصر الحديث مع أن تلك الاشياء لم تكن موجودة ولا هى مستعملة في حياة الرسول ولا في زمن الصحابة وإنما ابتدعت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم.

وإذا صح القول بأن كل ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة موجبة للدخول في النار. فكيف بنا ونحن نتوجه كل سنة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن طريق الجو أو عن طريق البواخر والسيارات؟ مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة قط بواسطة هذه المحترعات الحديثة ونعلم ان مسجده صلى الله عليه وسلم لم يكن مجهزاً بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما هى الحال في مساجدنا اليوم ولم يبلغنا قط انه صلى الله عليه وسلم صام أو أفطر بإخبار الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها.

وإذا كانت عبادتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول ولم يشاركها في حياته، فمن ينجو منا؟ ومتى يمكننا تصديق قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذى

وقد قسم ابن عبد السلام [١] الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال: البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب و السنة ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه. ومنها محرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة. ومنها مندوبة كاحداث الروابط والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر وكل إحسان لم يعهد في العصر الاول. ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وترويق المصاحف. ومنها مباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

ومن البدع المستحسنة أيضاً الكتب والتصانيف فهى محدثة لم يكن شئ منها في زمن الصحابة وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة بعد وفاة جميع الصحابة جملة التابعين رضى الله عنهم اجمعين.

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

بيان في احكام الطرق والأوراد الصوفية

هذا ومن الجدير بالذكر ان من الوهابيين من ينكرون الطرق والاذكار الصوفية كالتجانية والقادرية والشاذلية ونحوها ويرفضونها رفضا بئا ويرونها من البدع القبيحة ويقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون ويحملون الناس على تركها بكل مألديهم من حول وقوة. ويستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا * المائدة: ٣) وكقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ * الانعام: ١٥٣)

ويزعمون بأن هذه الاوراد هي السبل المعنية في نص الآية.

وجوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بعد المشرق من المغرب فهذه الآيات وما شاكها لاعلاقة لها بنفى الورد أصلا وقد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشا وناهيك عما فيه من تحريف القرآن الكريم وافتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات ومعانيها معروفة بتقرير الفقهاء والمفسرين ومن اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

اما الطرق الصوفية — كما يمكن ان نعرفها — إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه بشروط وأنظمة معينة تتفق مع مبادئ الاسلام وأهدافه. واركائها ثلاثة وهي الاستغفار، والهيئلة، والصلاة على النبي. والهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية — في نظر السادة الصوفية — هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التي أمر الله عباده بذكرها بعد اداء فرائضهم قال الله عز وجل: (فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوفِكُمْ * النساء: ١٠٣) وامتثال أمره تعالى بقوله: (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا * البقرة: ١٥٢) وقوله: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ * المائدة: ٢)

وقد رأوا أن التعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه أفضل وأهم من جميع انواع

التعاون لقوله تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * العنكبوت: ٤٥)
هذا ومن المعلوم بالضرورة ان هذه الاذكار التي ينكرونها مأخوذة كلها من
الكتاب والسنة وهي دائرة بين الاستغفار، والهيلة والصلاة على النبي صلى الله عليه و
سلم.

واما الاستغفار فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها
قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا * النصر: ٣)، (وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تَوْبُوا إِلَيْهِ * هود: ٣)

واما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها فمنها قوله عليه الصلاة
والسلام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً وَاسْتَغْفِرُوا فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)
رواه مسلم. وقال عليه السلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ
اللَّهُ لَهُ سَعْيَانَهُ ذَنْبٍ وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَعْيَانِهِ ذَنْبٍ) رواه
البيهقي

اما لصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * الاحزاب: ٥٦) وفي
الحديث: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ مِائَةً وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَتَبَتَيْ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَقَعَ الشَّهَدَاءِ) رواه مسلم

اما الهيلة — لا إله الا الله — فقد قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
لِدُنْيِكَ * محمد: ١٩) وقال عليه السلام: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه ابن ماجه و
النسائي. وقال أيضا: (أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالسَّيُّونُ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه مالك بن
انس عن طلحة

فمن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار
المذكورة واتخذها لسادة الصوفية طرقا لهم يهدف التقرب الى الله والوصول اليه لا غير فمن
زعم ان لهم غرضا غير ذلك او هدفا دون هذا فقد افترى وقد تبين انها مأخوذة كلها من
القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فلا ينكر عليها. لا الجاهل الأحمق أو السفيه المطلق.

وقد بشر الله الداكرين بقوله تعالى: (وَالَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذَاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الاحزاب: ٣٥) وقال ايضا: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة ١٠) فلا يضرنا اذاً نكار المنكر بما هو موافق للكتاب و لسنة.

هذا وقد ورد في كتاب «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» لمؤلفه الحاج سعد بن عمر بعد ان اورد جملة من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة لا اله الا الله ذكر احث عيها الكتاب والسنة ورغبا في ذكرها ووعد الله عليهما ورسوله التوب الجزيل وغفران الذنوب والدخول في الجنان وان الرسول عليه السلام و صحابه لكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناء على هذا نصرح بكل وضوح ان الورد التجاني الذي ليس إلا كواحد من هذه الأذكار اجليلة لا يكون بوجه من الوجوه حراما أو بدعة قبيحة كما لا يصح القول بأن الشيخ احمد التجاني رضى الله عنه اخترعه من عند نفسه بل هى اذكار قرآنية محصاة لا غبار فيها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين لان الدين قد تم قبله لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة: ٣) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ) رواه مالك رحمه الله نقول و أى دين تم قبل لا اله الا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان هذه الألفاظ الثلاثة هى اركان الورد التجاني وعليها مداره فان كان القائل يعنى بتمام الدين الاسلامى نقول فان الله تعالى جعل لا اله الا الله مفتاحه والاستغفار مذهب ذنوب أهله والصلاة على النبي معرفة جميل نبيه وقد نطق بها الكتاب والسنة وعمل بها الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام ولصالحون من امته وسيعمل بها المسلمون الى يوم القيامة سواء كانوا تجانيين او غير تجانيين فلا نجاة لاحد من يتدين بالدين الاسلامى دونها.

هذا ولطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الاسلامية وأثر بارز في التأليف بين قلوب المسلمين و جمع كلمتهم و حثهم على التمسك بالكتاب والسنة، وتعمير بيوت

أذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه بالصلاة و التسبيح و التهليل بالقدو و الآصال.
و تعتبر الطريقة التجانية بيت القصيدة في نظم هذه الطرق الصوفية وقد اخطأ من
انكر على هذه الطرق الدينية و زعم انها بدعة مخالفة لكتاب و السنة او اتهم زعماءها و
اعترض عليهم.

هذا ولا ينكر أحد بان الاسلام ما انتشرها في افريقيا السوداء الا بفضل جهود
شيوخ الطرق من امثال الحاج عمر القوتى. و الشيخ احمد أمير حمد الله و الشيخ محمد عبد
الله سعاد. و الشيخ عثمان فودى و العلامة الشيخ محمد بابو و السيد الحاج مالك سية و
غيرهم رضى الله عنهم

و قد قال الشيخ احمد التجانى رضى الله عنه: «و شرط هذا الورد المحافظة على
الصلوات الخمس في الجماعات و الامور الشرعية. و إياكم و لباس حلة الأمن من مكر الله
فإنه عين الهلاك و ترك المقاطعة مع جميع الخلق و أكد ذلك بينكم و بين الاخوان في
الطريقة.»

و هذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التجانية بالصلاة التى هى عماد
الدين، و انها تحت على مواصلة الارحام و عدم الأمن من مكر الله و مع ذلك فأورادها لم
تزاحم الفرائض ولا السنن في اوقاتها بل هى مؤقتة في اوقات ندب فيها الذكر خاصة و
هى من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس و بعد صلاة العصر الى الغروب.

و ثما ماورد في كتب لطريقة من فصائل الذكر، و ان من أخذ الورد التجانى و
داوم عليه الى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب و لا عقاب هو و والده و ازواجه و ذريته
ان سلم الجميع من الانتقاد. فهذه الوعود كلها داخلة تحت وعد الله و رسوله، و هى
صادقة ان شاء الله تعالى.

و وجه ذلك قد سبق ان علمت بان الورد التجانى ما هو الا الاستغفار، و الهيلة و
الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم. فالآيات القرآنية و الاحاديث النبوية تصرح في
اكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغ و ما وعده الله للذاكرين بها قال الله تعالى: (و
الذَّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَّ الذَّاكِرَاتِ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ قَفِيْرَةً وَّ اَجْرًا عَظِيْمًا ۝ اِحْزَابِ ٣٥) وقال: (و
اَذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيْرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ۝ الجمعة : ١٠) و في الحديث: (مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُوْنَ

الله تَعَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا قَادَى مُتَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَقْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ) رواه احمد. فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول في الجنة وعدها الله للذاكرين وهو تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

و أما ما يخص والديهم وأزواجهم وذرياتهم فقد قال تعالى: (جَنَّتْ عَذِينَ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ * رعد: ٢٣) وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَقْعَةً فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتْلُغْهَا بِعَمَلِهِ لِنَقَرٍ بِهِمْ عَيْنُهُ) ثم قرأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

فمن تأمل هذه الآيات والاحاديث النبوية تحقق بأن وعد الشيخ رضي الله عنه للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعد الله تعالى في القرآن وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة فلا لوم على الذين تعلقوا بهند الوعود الصادقة متكئين على الله تعالى القائل في كتابه العزيز: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * الزمر: ٥٣).

و أما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين الى الطريقة النجانية مما يخالف الشريعة الاسلامية فان الشيخ رضي الله عنه ليس مسؤولاً عنهم وطريقته بريئة منهم كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بمسؤول عن اعمال جهلة المسلمين من امته والدين الاسلامي هو أيضاً برئ مما يقع به بعض المسلمين المنحرفين . وليس لأحد حجة على الشيخ بعد قوله رضي الله عنه: «وإذا أمرتكم بأمر زنه بميزان الشرع فان وافق فاعملوا به وان خالف فاتركوه».

فبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما بويع بالخلافة وقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس أطيعوني ما اطعت الله و ان عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم». هـ.

الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب

ينتهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجاً خارقاً للاجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء. وذلك انهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية وينفون التقليد بهم والتقليد بمذاهبهم زاعمين ان لهم الحق في استنباط الاحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقليد بمذهب من المذاهب أو التقليد بامام من أئمة الدين.

وهذا - في الواقع - تلبيس عظيم غروا به العوام من الجهال وصغار الطلبة حتى اوقعوهم من حيث لا يخرجون. وقد يكون دافعهم الوحيد الى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الاربعة والقضاء عليها ليفسحوا المجال امامهم كي يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف الغير. كما يحاولون من خلال توحيهاتهم السخيفة الى تضليل العوام عن دور هذه المذاهب وتصريفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام واحكام العبادات بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لانها قد وضعت خصيصاً لتفصيل وتبيين ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي مجملاً من احكام العبادات والمعاملات. بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - الا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوي كما يزعمه بعض الجهلة ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك الى الكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر ولان كثيراً من القرآن والأحاديث مآظاهرة صريح الكفر، (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ... ﴿٧﴾ آل عمران: ٧) ولا ينبغي إتهام الأئمة الأربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع والكشف والانصاف وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله وقد بنى الامام مالك رضي الله عنه مذهبه على اربعة اشياء: آية قرآنية، وحديث صحيح، واجماع أهل المدينة، واتفاق جمهورهم.

وقد اجمع أهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد

شاع ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.

و معلوم عند كل احد ان رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان وأنه ليس في أبناء هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، و من توهم ذلك فقد غره هواه، و لعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا — نحن الخلق — ان نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد الذى لم يصل اليه افهامنا فالاجتهاد له شروط وبدونها يكون تلاعب بالدين و سحرية بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم اعادنا الله من ذلك و قد قال ابن القيم [١] في كتاب «اعلام الموقعين» لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب و السنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط ان يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراءته، و اختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بمحكمه و متشابهه و ناسحه و منسوخه و قصصه. و منها ان يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مميزاً بين صحيح أحاديثه و سقيمها. و منها ان يكون ورعا، ديناً، صائناً لنفسه، صدوقاً؛ ثقة بينى مذهبه على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصاً فلا يجوز له ان يكون مجتهدا يقلد به الناس.

و سأل رجل احمد بن حنبل [٢] إذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتى الف حديث قال لا قال فثلاثمائة الف حديث قال لا قال فأربعمائة الف حديث قال نعم و يقال ان احمد بن حنبل اجاب عن ستمائة الف حديث.

هذا ولا يجهل احد منا ان العلماء في كل زمان و مكان كالنوى و السيوطى و أحد بن تيمية و ابن القيم و الفخر الرازى و طنطاوى و الغزالى و ابن القاسم و خليل بن اسحاق و غيرهم كانوا جميعا على تقليد بالأئمة مع ان كل واحد منهم له اليد الطولى في كل فن من الفنون و لكن لما علموا انهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد و وقفوا عند حدهم و كانوا من جملة المتقليدين. «و رحم الله امرءاً عرف قدره و لم يتعد طوره.»

(١) أبو عبد الله محمد بن أبو بكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ

(٢) احمد بن محمد بن ابو عبد الله المتوفى ٢٤١ هـ

هذا ومن الغريب جداً ان يكون باب الاجتهاد مفتوحاً امام الجميع يتسارع اليه الفقيه والسفيه ويتزاحم لديه العالم المتحرر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه ويتحبط ذاك بجهله كلا! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتلبيس الحقائق بالاحلام ليس غير.

فالاجتهاد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتفاع ومن المستحيل ان تحاول الوصول اليه عصابة من المتحلفين الذين كان الجدل — ولا يزال — هو مبعثهم من العلم ومنتهى حظهم في الفهم وقد سولت لهم أنفسهم ان يجوزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والاخذ بظاهر الآيات والاحاديث علماً منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجاهل ونيل الشهرة والرياسة لدى الاميين الذين لا يميزون بين السقيم والمستقيم لانهم يقولون: نحن نقول قال الله أو قال رسول الله وغيرنا يقول قال مالك وقال شيخ فلانى.

ومن هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالغوا في نقدهم والاعتراض عليهم و تراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونقلد بالأئمة في اجتهادهم المحتمل للخطأ؟ وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك او بقول شافعى او بقول فلان وفلان؟ وقد اجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله [١] ان تقليد الأئمة في اجتهادهم ليس تركاً للآيات والاحاديث كما يزعمون بل هو عين التمسك والاخذ بهما فان القرآن الكريم ما وصل اليه الآن بواسطة مع كونهم اعلم منا بناسحه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ومتشابهه ومحكمه واسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من الخطأ والنفوات.

وكذلك الاحاديث ما وصلت اليه الآن بواسطة مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها وحسنها وضعيفها ومرفوعها ومرسلها ومتواترها وآحادها ومعضلها وغريبها وتأويلها وتاريخ المتقدم والمتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها مع

تمام ضبطهم و تحريرهم لها و كمال إدراكهم وقوة ديانتهم واعتنائهم و تفرعهم و نور بصائرهم».

و خلاصة القول فإن مدعى الاجتهاد من ابناء هذا العصر، المنكرين لتقليد ائمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حب الظهور و قصد الشهرة بمقتضى قاعدة: «خَالِفْتُ تُعْرِفُ». او يريدون بها تفريقا وحدة المسلمين و إثارة الشكوك و الخلافات بين صفوفهم سعيا وراء مصالحهم الشخصية. و إلا فَهُمْ أَعْلَمُ بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوى المكانة المعتبرة فى العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فصلا عن الاجتهاد الذى يقف دونه أكابر العلماء.

مسألة القبض والسدل

أما القبض فهو الشعار الرسمى لوهابىي بلادنا وقانونهم المطبق بل هو الركن المؤكد و شرطهم الاساسى لصحة الصلاة. وقد يبطلون صلاة من ترك القبض و أسدل يديه ولا يأتون به و يحكمون عليه بالكفر و الفسوق تارة، و بالشرك و النفاق تارة اخرى.

فهذا الحكم الفاسد اما لجهلهم بفقہ الصلاة و إما لانكارهم على الامام مالك رضى الله عنه الذى كره القبض فى الفرائض ولا حاجة لبعضهم فى تأكيد هذا القبض و اختياره على السدل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج و وجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم فى الصلاة.

و نحن نجيب لأولئك البعض بان الحج إنما هو مؤتمر اسلامى كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة و من اماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفى و البعض الآخر على مذهب الحنبلى و قد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض و يأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رضى الله عنه.

ولا ينبغي لما لكى ان يترك مذهبه و يقدر غيره على هذه الصورة خصوصا إذا كان قبضه يؤدى الى سوء التفاهم و اختلاف الآراء فيما بينه و بين قومه فصول الوحدة الاسلامية و السعى لتقارب و جهات النظرين المسلمين فى سنونهم الدينية و الدنيوية

أول، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل وقد رخص فيها ومع ذلك فلسنا نحن مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال وإنما أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۖ لِّلْأَحْزَابِ: ٢١) ولم يقل كان لكم في أهل مكة آية أسوة فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين مأمورون هم أيضا باقتداء النبي صلى الله عليه وسلم. لان يقتدى بهم وحدهم

فمسألة القبض والسدل اذن ليست بمسألة مكين أو مدنين حتى نحتاج الى التقيد بما هنالك. ولكنها مسألة مرثية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي المسائل الفقهية.

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وانهما من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان يكون الامام مالك رضى الله عنه قد اختار السدل من تلقاء نفسه، او أمر به بمجرد هواه وحاشاه ان يفعله او يأمر به دون ان تكون له اسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولا يليق بنا ان ننكر عليه او نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل ولا في غيره لانه اعلم منا بصلاة رسول الله وأفقهنا بحكم القبض والسدل وهو رضى الله عنه امام فقهاء عصره وقدوتهم على الاطلاق ومذهبه عمري على المشهور. وحسبه فخرا كونه إماما لدار الهجرة وعالم المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ) وقال ايضا: (يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي ظَلَمِ الْيَلَمِ فَلَا يَجِدُوا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ).

وسئل ابو حنيفة عن مالك فقال: «ما رأيت اعلم منه بسنة رسول الله منه» و مناقب الامام مالك رضى الله عنه اظهر من شمس الضحى واكثر من أن تعد او تحصى.

هذا ومن الواضح جدا ان منكرى السدل الطاعنين به غير مقيدون بقوانين الفقه والحديث. وليسوا بمتفقيين بالمعنى الصحيح لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبي بكر الصديق وعلى ابن ابي طالب وأبي هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله ابن الزبير وأبي حميد الساعدي وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين. فالطعن على المسدلين طعن لجميع هؤلاء الصحابة والعياذ بالله من ذلك. ومعلوم ان اصحاب رسول الله كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا.

وانا لنعتقد ان الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم وضعف الادراك فهم — على ما يبدو — كأدوات مسحرة لافكار بعض المتطرفين الذين يزعمون ان السدل بدعة قبيحة وان الشارع صلى الله عليه وسلم لم يفعله قط ولم يأمر به وذلك ما صرح به الاخ محمد المرزوق ابن عبد المؤمن الفلاتى فى كتابه: «القبض والارسال فى الصلاة» وقد ذكر هذا الرجل فى كتيبه المذكور أن مسدلى الأيدى فى الصلاة بدعيون مسعونون ومستحقون الخلود فى النار وقال ايضا ان صلواتهم باطلة وعبادتهم عاطلة وجميع اعمالهم مردودة من أجل هذا السدل لقول النبى صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَخَذَتْ فِى أَفْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) من حديث عائشة ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة الآ واطلقها على الاثمة الكرام والعلماء الأعلام الآخذين السدل من صفة صلاة الرسول عليه السلام. ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين وباتفاق جمهور العلماء على مر القرون والعصور.

هذا ومن المؤسف جدا ان هذا الكتيب رغم ما فيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح قد نال قبولاً حاراً واهتماماً بالغاً لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقداً على المسلمين وتفريقاً بين صفوف المصلين فصار القابض منهم يمتنع ان يصلى خلف السادل عملاً بما ورد فى هذا الكتيب. وتعطلت من اجل ذلك المساجد والزوايا وشرعوا بحكم لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطانا. ويتابع الفلاتى فى صفحات كتيبه قائلاً: «فانا لم نجد للسدل حديثاً صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً حتى نعتد عليه»

نعم قد لا يجد الفلاتى الحديث عن السدل — كما ذكر — لانه لم يكن متعمقاً فى علم الحديث مثلما تعمق فى علم السب واللعن والشتائم والاستاذ الفلاتى — كما يبدو لنا فى اسلوب لعناته وعباراته فى الطعن والتشيع — يبدو وكأنه تخرج من «كُلِّيَّةِ الْبَدَآءَةِ» وقد حاز فيها على شهادته العليا «فِى الْوَقَاحَةِ وَالْجَرَآءَةِ» لذلك لا يمكن له أن يكتب او يتكلم الا بما يناسب ثقافته المشؤمة.

اما كون السدل من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذى أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه. وخلاصته «أن رجلاً دخل المسجد وصلى بحضور الرسول عليه السلام ثم جاء

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْعِ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ حَالِسًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا) وَرَادَ فِي رَوَايَةِ أُخْرَى (فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ نَمَتْ صَلَاتُكَ وَإِنْ انْتَقَصَتْ مِنْهَا فَإِنَّمَا انْتَقَصَتْ مِنْ صَلَاتِكَ).

هذه كيفية للصلاة بتمامها ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيها القبض وصح الاستدلال بهذا الحديث على أن كلما ذكر فيه واجب لا تصح الصلاة بدونه وما لم يذكر فيه فليس بواجب وهو صلى الله عليه وسلم كان يومئذ بمقام تعليم الواجبات في الصلاة ولا يجوز في حقه أن ينسى شيئا منها أو يقتصر بذكر بعضها دون البعض.

وكذلك حديث أبي حميد الأنصاري الذي أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وذلك أن أبا حميد كان في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أنا أعلم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم فوالله ما كنت بأكثرنا له تبة ولا أقدمنا صحبة قال بلى قالوا: فأعرض، أتى صيف لنا صلاة النبي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً ثم يركع ويضع راحته على ركبتيه. وتابع أبو حميد رضى الله عنه في وصف صلاته مرتباً حتى أتى التسليم قالوا كلهم صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يذكر فيها القبض وقد ذكر جميع الفرائض والسنن والمستحبات بالاستقصاء. وهذا الحديث أيضاً حجة واضحة في السدل وحيث لم ينكر عليه الصحابة في عدم ذكر القبض ولم يناقشوه فيه — رغم أن المقام كان مقام احتجاج وامتحان — علمنا أنهم متفقون على أن القبض ليس لازماً في صفة صلاته صلى الله عليه وسلم.

أما قول مالك رضى الله عنه في الموطأ، «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة.» فإن هذا الحديث يدل على أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا قبل ذلك يسدلون والا كان أمراً بتحصيل الحاصل وهو عبث محال عليه صلى الله عليه وسلم.

و حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى قال فيه: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت شمالى على يمينى فأخذ يمينى فوضعها على شمالى» يدل هو أيضا على ان ابن مسعود رضى الله عنه كان حديث عهد بالقبض لانه لا يجوز ان يجهل صحابى جليل مثل ابن مسعود فعلا من افعال الصلاة الذى يكرره كل يوم سبعة عشر مرة على الأقل.

وهذان الحديثان يدلان على ان السدل هو اول فعلية والذى يدل على انه اخر فعلية صلى الله عليه وسلم هو استمرار عمل الصحابة عليه اذ لا يجوز جهلهم بآخر حال الرسول صلى الله عليه وسلم.

واما ما مالك رضى الله عنه كان من تابعى التابعين وقد أخذ عن علمائهم الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا اعتمد على ما شاهده منهم من السدل فقال رضى الله عنه انه لا يرى القبض فى الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم [١] فى المدونة وأخذ به أصحابه.

هذا ومن اراد مزيدا من الايضاح فى هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل فى ادلة القبض و السدل» للعلامة الحاج سعد بن عمر تورى [٢] او يطالع كتاب «ما قل ودل فى ادلة القبض و السدل» للاستاذ الشيخ احمد التجانى الفتوى [٣] فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين — جزاهما الله خيرا — مسائل القبض و السدل وبحثا عن احكامها بحثا دقيقا وبيننا مشروعية كل منهما ومأخذها من صلاة الرسول ومن عمل الصحابة و التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وهذان الكتابان فى غاية الأهمية لمن يريد التفقه فى احكام القبض و السدل. ومن ذلك اتفاق الائمة على استحباب وضع اليمنى على الشمال فى القيام وما قام مقامه مع قول مالك فى أشهر روايته انه يرسل يديه ارسالا ومع قول الاوزاعى انه يتخير فالاول مشدد والثانى وما بعده مخفف وان تفاوت التخفيف اختلفوا فى محل وضع اليدين

(١) عبد الرحمن بن قاسم العتكى المالكى المتوفى ١٩٩ هـ.

(٢) السيد سعد عمر تورى مدير «مدرسة سبيل الفلاح» سيقوج «مالي»

(٣) الاستاذ احمد التجانى به الخطيب الاسلامى فى اذاعة والتلفزة ابدجا مع

فقال أبو حنيفة تحت السرة وقال مالك و الشافعى تحت صدره فوق سرتة وعن احمد روايتان اشهرهما كمذهب أبى حنيفة واختارها الخرقى [١]

هذا ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعارا لهم ليميزوا به عن غيرهم او ليقذروا عددهم وعددهم و القبض أشرف من ان يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلين أو لتمييز بعضهم بعضا.

ولا ينبغي ان يكون القبض والسدل مصدرى الخلاف بين جماعة المسلمين اللهم الا اذا استول عليهم التعصب او الجهل باحكام الفقه لانهما ليسا من الشروط التى تتوقف عليها صحة الصلاة وليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكدة ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لافعال الصلاة ولكن اخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا احكام الصلاة وجعلوا الفضائل محل الفرائض وفي الحديث: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) متفق عليه

وأخيرا نختم هذا الموضوع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر تقلناه من كتابه «موقف الفصل» ونصه ما يلى: «فالقول اذا يا اخوانى ببطلان صلوات السادلين او القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له فى الشريعة ولا قال به من يعتد بكلامه من الاجلة ونسبة فاعل أحدهما او تاركه الى البدعة او النفاق او الكفر الموجب للحلود فى النار ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن فى الايمان والوقوع فى الاعراض حرام فى الشريعة المطهرة ولا نتيجة له سوى التدابير والتضاغن والنزاع والتفرقة وقطع الارحام وهجران المساجد وسدها واغلاق المدارس المؤدى الى اضعاف المسلمين وفشلهم وتسلط الاعداء عليهم كما وقع — فعلا — فى بلادنا بفعل هذه الشرمة التى ما زالت تسمى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة.»

التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

وجدير بنا ان نأتى بهذا الموضوع لانه من اشهر المواضع التى تثير الخلافات بيننا وبين الوهابيين فهم يرون ان من كتب شيئا من القرآن او من أسماء الله تعالى وعلق عليه سواء للتداوى به او لتحرز فقد كفر بالله ويرون ان فعلة هذا نوع من السحرا وهو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن والحديث فى هذا الموضوع قال الله تعالى: (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ * الْاِسْرَاءُ: ٨٢) وقال ايضا: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ * فَصَلت: ٤٤) وآيات الشفاء معروفة ومشهورة لورودها فى القرآن الكريم فى ستة مواضع فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية وشفاء من الامراض الظاهرة والباطنة بدليل ماورد فى الحديث: (الْقَائِمَةُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ) رواه البيهقى. وقال عليه السلام: (خُذْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ). وقال ايضا: (مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ لَأَشْفَاهُ اللَّهُ). وقالت عائشة رضى الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ» فقال: (بِسْمِ اللَّهِ يُشْرِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ). وروى عنها ايضا: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعُودَاتِ وَيَنْفُثُ فِي يَدِهِ وَيَمْسَحُ بِهَا مَا بَلَغَ مِنْ جَسَدِهِ»

وهذا دليل على ان التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى جائز وأخذ العوض عنه جائز كذلك لما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال: «انطلق نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه فاتوا به الى الرهط فقالوا لهم ان سيدنا قد لدغ وقد سعينا له بكل شىء فلم ينفعه فهل عند احد منكم شىء فقال بعضهم نعم والله انى لارقى ولكن قد استصفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لى جعلاً «أَيُّ أَجْرًا» فصالحوهم على قطع من الغنم فأخذ الصحابى يقرأ الفاتحة ويتفل عليه فقام الرجل يمتى وما به علة فاوفوهم جعلهم ولما رجعوا الى المدينة

اخبروا النبي بذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنْ أَحَقَّ مَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ) روه البحارى. هذا ولنا اسوة حسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم فى كل شئ والذين سبقونا الى هذا العمل الطبي و أخذوا منه الأجرة فأجازهم الرسول أكل هذه الأجرة وهو صلى الله عليه وسلم اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز.

واما قولهم بأن الرقية هى الجائزة، لكونها هى الواردة فى الاحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب والتعليق. وأن الكتابة حرام مطلقا، فهذا القول مردود لأننا لم نجد فى احكام الشريعة الاسلامية حكما يجوز لتلفظ به ويحرم كتابته. فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعاً كتابته، وما لا فلا!

ومن المعلوم ان الكلمات التى يلفظ بها الراقى هى نفس الكلمات التى يكتبها الكاتب على السواء ولا يحتمل تجويز أحدهما مع تحريم الآخر فاللفظ والكتابة أمران متحدان حكما ومعنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

وفى «الرسالة» لابن أبى زيد القيروانى: «ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن» ويكون مستورا بظاهر يقيه الأذى ولا بأس ايضا بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوما المعنى كالمشتمل على ذكر الله ورسوله وأما مالا يفهم معناه كالكلمات العجمية والطلاسم المبهمة فلا تجوز الرقية بها لان الامام مالك رضى عنه سئل عن الأسماء العجمية قال: «وما يدريك أنها كفر؟» وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا قَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أُغُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَ عِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ) وكان عبد الله بن عمر يعصمهم من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها فى صك ثم علقها فى عنقه. «رواه ابو داود والنسائى و الترمذى» ويقول عليه السلام: (لَا بَأْسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ). و يقول ايضا فى حديث آخر: (لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ شِفَاءَ أُمَّتِي فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ).

ويستفاد من هذين الحديثين على ان التداوى بأسماء الله تعالى وآياته يجوز مطلقا لأنه لو لم يكن جائزا - كما يفهم من سياق هذا الحديث لما شفى بها احد من الأمة، وقد اثبتت التحارب أن ألقا أو ملايين من المرضى قد شفاهم الله بحض ارادته ثم سرقة هذه

الآيات المكتوبة. وشأن هذه الآيات المستشفية بها، شأن غيرها من الادوية الاخرى و
كلها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى. هذا وليس
من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغذو الى الصيدليات لشرائها طلبا للشفاء، أكثر
أهمية و أعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات لشفاء التي نكتبها هي ايضا لنفس
الغرض. فكل من الآيات المكتوبة والعقاقير المشروبة والعمليات الجراحية المستعملة
لاقوة لها في حد ذاتها لدفع المرض واستعادة الصحة ولكنها اسباب ووسائل ليس إلا!
فالشافي الحقيقي انما هو الله وحده. ولقد اجاد من قال:

بِالطَّبِيبِ لَدُوْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ * مَا دَامَ فِي أَجْلِ الْإِنْسَانِ تَأْخِيرُ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِهِ * حَارَ الطَّبِيبُ وَخَانَتْهُ الْعَفَاقِيرُ
اما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَيْمَمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ).

والحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَيْمَمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ عَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ).
فهو — على ما اعتقد — من الوهم اللغوي عندهم لأن التمايم معناها في اللغة «خَرَزَات»
وهي ما ينظم في السدك من الجذع والودع وما يشبهها وقد كان الاعراب في الجاهلية
يضعونها على اولادهم للوقاية من العين ودفع الارواح فيما جاء الاسلام نهاهم الرسول
عن ذلك.

وعلى هذا فان المراد بالتمايم والودع في الحديث المذكور إنما هي تمايم الجاهلية و
ودعهم التي كانوا يعلقونها قبل الاسلام ولا يتصور حين هذه الاحاديث على ما يكتبه
المشايع من الآيات القرآنية والاسماء الالهية للتعوذ بالله او لطلب الخير منه لما سبق ذكره
من احاديث وآيات الشفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!

وشتان بين خرزة مثقوبة وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق
بقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا * الْأَعْرَافُ: ١٨٠)

والدعاء سواء كان باللفظ او بالكتابة وسواء لندنيا او للاحرة كله جائز لقوله
تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ * المؤمن: ٦٠) ولما في الحديث: (الدُّعَاءُ مِفْحُ الْعِبَادَةِ)

هذا وينبغي استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التي مازال بعض العوام
يستعملونها حتى اليوم. ويجب منعها ايهاهم تبعا للاحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه

الجدع والودع المعروفة.

واما كتابة هذه الآيات القرآنية وهذه الأسماء الالهية لقصد الضرر وظلم عباد الله كاهلاكهم مثلاً وإتلاف أموالهم أو لإدخال العداوة بينهم فهو الممنوع الحرام يعاقب به فاعده والمفعول له معاً ألا من تاب وآمن وعمل صالحاً ويحرم كذلك الدخول بها في الأماكن النجسة والمواضع المقدسة. ويجب على المشايخ التنبيه عليه وتحذيره، وإن لا يكتبوها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعاً وتكون مستورة بظاهر كالجلد ونحوه وحينئذ لا حرج والله اعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء والاتجاهات من دعاة الوهابية إما اختلاف و كأن لكل واحد منهم أوامره ونواهيهِ الخاصة به ينفرد بها دون غيره وليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة وتلك الاتجاهات المتناقضة والجمع بينها.

وبما أن الواجب على المرء أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بأن يسمع من ذلك الشخص ما قيل عنه أو يقرأ كتبه أو يجتمع بأصحابه المقربين لذلك بذلت جهدي في تحصيل لكتب الوهابية لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل أن أصدر حكماً لها أو عنيها وقد اطعت على بعض هذه الكتب وقرأت شيئاً من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله كما اجتمعت ببعض وهابيين بلادنا السارزين واستمعت إليهم وفهمت مقاصدهم وخلال مقارنتي بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين ما هو عليه وهابيو بلادنا لاحظت اختلافاً جوهرياً في الأقوال والأفعال بل وفي العقائد بين الإدارة الوهابية وبين المتوهمين الآخرين وخاصة ولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماماً وبصفة غير معهودة بين المتبوع والتابعين وذلك مما يؤكد بوضوح على أن الدعوة الوهابية قد أصابها داء التعصب والفوضى من قبل بعض المتطرفين والمنحرفين الذين سبوا من هذه الدعوة جميع القيم والمثل العليا و

أقل ما يقال فيهم، هم اصحاب مراء وجدال استولى عليهم الجهل والتعصب - بل هم قَوْمٌ خَصِمُونَ -»

وها انا انقل لك ايها القارئ الكريم بعضا من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى بعض أتباعه و التي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة و الصلاة على النبي: «أشهد الله و من حضرني من الملائكة و اشهدكم اني اعتقد ما اعتقده اهل السنة و الجماعة من الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله. و أقر بكرامات الأولياء إلا انهم لا يستحقون من حق الله شيئا ولا اشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار، الا من شهد له الرسول صلى الله عليه و سلم ولكني ارجو للمحسن و أخاف على المسيء. ولا أكفر احداً من المسلمين بذنبه ولا اخرجه من دائرة الاسلام. و أرى هجر أهل البدع و مبائنتهم حتى يتوبوا و أحكم عليهم بالظاهر و أكل سرائرهم الى الله.

و نحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلّد الائمة الاربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيه.» انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي يّين فيها عقيدته وما هو عليه. [١]

ولكن لننقل لك ايضا - ايها القارئ الكريم - بعض المحاورات و المناظرات التي جرت بيني و بين الأصدقاء الوهابيين ليتبين لك عقيدة وهابيى بلادنا، و لتعلم أيضا بان جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن عدم اليقين. «و ليس الخبر كالعيان.» لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سيكاسو» فجاءني بعض الأصدقاء من الوهابيين للسلام على كالعادة و لما استقرربنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية و تأثيرها في المجتمع و اقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم و نزيل الخلافات القائمة بيننا. فابتدرت بالسؤال قائلا: لماذا خرجتم من المسجد و تركتم الصلاة معنا فهلاً نُصلي معاً فمن شاء منا يقبض يديه و من شاء يسدل كماهى الحال في كثير من المساجد؟ فأجابني احدهم قائلا: لا يا أخى المشكلة ليست في القبض او في السدل و لكننا في الحقيقة نعتبركم مشركين فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم ثم قلت له: لأى شيء تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلقون التماثم و تتوسلون بالأنبياء و

(١) نقلناه من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية»

الصالحين. فعلمت ان هذا الاخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة الى طبيب الارشاد. وتحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق: نعم ولكن لا يستطيع المسلمون ان يتحدوا الا اذا تمسكوا بالكتاب والسنة و تركوا ماسواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين. ومادام يقال هذا مالكي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضاً ان هذا الاخير أشد جهلاً من الاول وقد بلغ به جهله ان ينكر كل شيء حتى على المذاهب الاربعة المجمععة على صحتها.

وفي مدينة «قاونى» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق تحدثت يوماً مع واحد منهم فقلت له: ما رأيكم في هذا المسجد الذى تقيمون فيه صلاة الجمعة هناك جامع عتيق عيرضائق وليس ثم عذر شرعى يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا فى بعض الاوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلاً فكيف ترون صحة صلاة الجمعة فى هذا المسجد؟ فقال لى شكراً على هذا السؤال ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذى ذكرتموه من ان صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثنى عشر رجلاً انما هو من قول الامام مالك رضى الله عنه فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الائمة فالمعمول عندنا ان صلاة الجمعة تصح باثنين وبثلاث وبأربع بلاحد.

وأعجب من هذا فقد جاءنى فى العام الماضى اخ وهو من اهل البادية فى نواحي «نيور» وقال لى بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة سواء كان فى القرية او فى الفلاة، وحجته فى ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصل مع جماعة من الملائكة وقال لى هذا الاخ بأنه شخصاً صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وهو رابعهم صوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا فى مسجد مبنى، فسألنى ذاك الاخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالاعادة ظهراً، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يحرمه وهابيو بلادنا الصور «الْفُوتُوْغَرَفِيَّةُ» حتى ان بعضهم لا يبيع ولا يلبس لأقمشة التى توجد فيها صور الاشخاص او الحيوانات ولا يخفى أن علماء

الحرمين الشريفين قد افتوا بجواز هذه الصور «الْفُوتُوغَرَفِيَّة» لأهميتها في شتى المجالات ولا حاجة لنا إلى السؤال هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين ام الحق مع علماء الحرمين الشريفين؟

اما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الارجح لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الاخ الوهابي وهو لا يستحي ان يضر نفسه ولمن يقربه من نشن هذا الدخان بينما قرأنا في الكتب الوهابية بان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين.

فادا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقر لكرامات الأولياء. ولا يكفر احداً من المسلمين بذنوب وهو في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل فإن اتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم «وَهَّامِينَ» بدلا من الوهابيين لانتهاجهم سلوكا اخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي.

و استناداً منا على هذه الحقائق المذكورة فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا الى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر.

و الوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله والصلاة على نبيه المصطفى و تُضِيف الى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ، ولآل بيت النبي فكل من تكونت في شخصيته هذه الصفات فهو الوهابي الكامل، الذي يسمى عندهم بالسني.

هل هم سُنيّون أم وهابيون؟

يفالط البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يسمون أنفسهم بالسنيين، بينما لاعلم لهم بالسنة إلا اسمها ولاصلة لهم بها اكثر من ادعائها و التفاخر بها كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته و كيفما ساء سلوكه وأخلاقه. ولكن هيهات ان تحقق الادعاءات نفعا، او تقيم لأصحابها وزنا.

ويزعم هؤلاء المعنيون انهم سنيون وليسوا بوهابيين والعجب كل العجب ان يدعى الجاهل انه سنى او انه زعيم للدين بارزو ليس من المعقول ان يكون الجاهل سنيا فان العلماء أنفسهم عجزوا ان يكونوا سنيين حقيقيين إلا الخواص - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - فكيف بالجهال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والافتداء باقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم وذلك يقتضى العلم والعمل معا وبفقد الاول تكون سنية الجاهل محالا وبفقد الثانى تكون سنية العالم باطلا ولا بد من اجتماعهما معا وإلا فهي سنية اللسان لا غير فنحن لانقبل سنية الجاهل مهما طالت لحيته او شتد تنسكه. وفي الحديث: (سَرَأَيْتِي رَجُلَانِ غَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ) وقال الشاعر:

فسادٌ كبيرٌ غَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ * وَكَبِيرٌ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ * لِمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

وقال الآخر:

«كَمْ لِيَحْيَةٍ ظَالَتْ عَلَى ذَقَنِ جَاهِلٍ * وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا الْغَبَاوَةُ وَ لَجْهْلُ»

فالسنة النبوية تلاحظ صاحبها في جميع حركاته وسكاته ونراقبه في كل العبادت و المعاملات من المشى والكلام والأكل والشرب والبيع وغيرها وهى تفرض على المرء ان لايفعل فعلاً حتى يعمم حكم الله فيه ويسأل العلماء و يقتدى بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا نعرف ان السنة لا تكون في زى خاص ولا في هيئة معينة، بل هي اشرف من ان تستتر في مثل تلك الاماكن التى ان هى الآ حبال يصطاد بها ضعفاء العقول و العقيدة. وفي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَقْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه الطبراني

هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات الابهامية التى يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية و التى تتمثل في توفير اللحية و لبس البيض و التغطى بالعمامة وما الى ذلك لا تكفى بأن تكون تعريفا كافيا للسنى الحقيقى وهم - مع الاسف - قد اخطأوا في تقدير السنة حيث قيدوها في نوعية اللباس و في ظاهر الهيئات.

وانما يعرف السنى بطواهر تقوى الله في السر و العلانية و بامثال الأوامر و اجتناب النواهي و بالصدق في القول و الاخلاص في العمل و بالقيام بوظائف العبادات من الفرائض و السنن و النوافل و أدائها كاملة غير منقوصة.

ويعرف السنى كذلك بالتحلى عن الاوصاف الذميمة و الاحوال الوضيعة و التحلى به بمحاسن الصفات و مكارم الاخلاق.

فمن شأن السنى ان يدعو الناس الى دين الله تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة و يجادلهم بالتى هى أحسن. كما من شأنه أن لا يكون سباباً ولا لعناً ولا فظاً غليظاً ولكن هيناً لنا يعفو ويصفح و يبشر ولا ينفر اقتداء بالرسول الكريم القائل «لَمْ أَرْسَلْ سَبَاباً وَلَا لَعَنًا» و الذى قيل عنه: (وَلَوْ كُنْتُ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعَفْتُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوَزَهُمْ فِي الْأُمْرِ* آل عمران: ١٥٩)

و السنى - بعبارة أوجز - هو من وضع قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه و سلم بحيث تكون أقواله و أفعاله مطابقة لأقواله و أفعاله صلى الله عليه و سلم يصدق لسان حاله لسان مقالته و يكون متصفا بمكارم الاخلاق في سائر احواله السرية و الجهرية و في جميع تصرفاته و معاملاته مع الناس.

و السنى لا يتجاهر بسنيته ولا يتفاخر بها بل يخفيها قدر الامكان خوفا من الابتلاء و جريا على عادة السنيين الحقيقيين. و يكون السنى مجتنباً للكذب و الغيبة و النميمة عازلاً عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضياً بالقضاء

حلوله و مره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير ويكون شغفه الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله و معالجته من امراض الكبر والحسد والعجب والحرص و تطهيره من دنس الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية ويترك الهذرو الفضوليات و يتقى الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه ويحذر الغش في بيعه و شرائه ويراعى حقوق جيرانه و يتحمل أذاهم و يوقر كبار المسلمين ويرحم صغارهم ويساعد الضعفاء و المحتاجين.

و يقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة و يصل من قطعه و يعطى لمن حرمه و يعفو عن من ظلمه و يحب لغيره ما يحب لنفسه و يضيف السنى الى كل هذا الاحتساب الى الله و تفويض أمره اليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائماً بين خوف و رجاء لا يزكى نفسه ولا يعجبه علمه او عمه لما فى الحديث: (النَّاسُ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَالِمُونَ، وَالْعَالِمُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَامِلُونَ، وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى، إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَ الْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.)

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السنى وهذه صفاته فانظر نفسك ايها الاخ الوهابى، فان كنت هكذا فأنت سنى حقاً. وإلا، فلا! و اياك ان تكون من الذين يقولون مالا يفعلون قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ الصَّف: ٣) صدق الله العظيم

وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها

فصلة الرحم واجبة في الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ* النساء: ١)

ومعنى الآية - والله اعلم - اتقوا الله وصلوا ارحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية وفي الحديث: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا الرَّحْمَانُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا إِسْمًا مِنْ إِسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ) رواه الطبراني عن جرير وقال عليه السلام: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ) أخرجه الطبراني والبيهقي و يروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ دَنَبَ أَجْدَرَ أَنْ يُعَلَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّفَى وَقِطْعَةِ الرَّحِمِ)

ولهذا جاء الاسلام مهتما بشأن الارحام وحث المسلمين على صلتها ورعايتها في جميع المستويات وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ* رعد: ٢٥)

وقد ظلت صلة الرحم عنصرا هاما من عناصر الدين وهدفا حيويا من اهداف الاسلام ولها أهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري ان نوليها - نحد ايضا - اقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها اى الرحم عاهد الله تعالى ان من قطعها قطعه الله ومن وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.

فمن واجبنا - نحن التلاميذ - وكل المسؤولين ان نعلم احوالنا لمسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم ودويهم وما وعده الله للقائمين بهذه الواجبة الانسانية. ونحذرهم كذلك من مغبة قطع الارحام وتفريق وحدة المسلمين وما يترتب عيهما من الندم والخسران في هذه الدار وتث الدار الآخرة. وفي الحديث: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ) روه الاصبهاني وقال عليه السلام: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ومتفق عليه عن ابن عمر

فالسعيد من لم يكن سببا للتفريق بين الامة أو لأدخال العداوة بينها و يقول الرسول عليه السلام: (أَيْمًا رَحُلٌ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ امْتِي فَأَضْرِبُوا عُنُقَهُ) و يَقُولُ يَضًا: (الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا) رواه الديلمي

هذا ومادنا في موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة بر الوالدين و وجوب طاعتهم والاحسان اليهما قولاً وفعلاً و لدعاء لهما في حال الحياة و بعد الوفاة لانهما سبب الوحود وسر الحياة وخاصة الذين ربّيا كترية اسلامية. فعقوقهما من الكبائر التي ينرتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحنك على عقوقهما ومقاطعتهما إلا عدوك الذي ينتهز فرصته ليحتس ما لديك ثم يتبرأ منك يوم تقف بين يدي الله تعالى.

وهناك من افراد لوهابين من يعوق واديه و يعتبرهما مشركين لا لشيء سوى انهما لم يستسلما لدعوة الوهاية أو لم يقبضا أيديهما في الصلاة ولايراعى فيهما حقوق الابوة ولايؤدى لهما واجب البوة وهو يعرف ان انا هو لذي أخذ بيده وهو صغير وذهب به الى المعلم ليعلمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين فلما كبر هذا الولد المسكين وتوهب أبى لا ان يسمى انا هذا مشركا عارما ان لايعامله الا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسم و المشرك.

وصار- بهذا القرار- ناسيا و متناسيا كل ما قدم له هذا الولد من عناية ورعاية، وحنوا أيام مهده وصباه. وقد نساها شيطانه أنه لو ذهب به يوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانيا او الى الكاهن لكان ساحراً عليما. فاذا كن هذا هو جراؤك لولدك ايها الولد فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولاشك ان هناك أيدياً مجرمة تحركهم من تحت الستار وتشجعهم على المضى بماهم عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم و ترين لهم سوء أعمالهم هذه بانها نوع من الجهاد وأنها من امتثال اوامر القرآن حيث يقول الله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ * الْمَحَادَّةُ: ٢٢) فاتقوا الله ايها الأولاد وذكروا قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * الاسراء: ٢٣) وقوله عليه السلام: (الْحَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأَقْبَاهِ) رواه الحاكم وصححه

خاتمة الكتاب

وفي الختام أرجو من الاخوة الوهابيين سامحي الله واياهم ان يرجعوا عن الانكار بما لم يحيطوا به علما وان يبادروا إلى التوبة بالندم على ما فات قال الله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً) وان يجتنبوا سوء الظن باخوتهم المسلمين قال تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ * الْحَجَرَاتُ: ١٢) وقال: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى * النجم: ٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه احمد عن ابي هريرة وقال ايضا: (طوبى لمن شغلته غيبته عن غيوب الناس) اخرجہ أبو نعيم هذا ولا بد من نهى المنكرايا كان مصدره لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * آل عمران: ١٠٤) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) رواه مسلم والترمذى

ولكن يجب التمييز بين كبائر الاثم وصغائر الذنوب وبين ما يؤدى إلى الشرك وما يفضى إلى الحرام ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه

وقد جعل الله لكل شئ قدرا وهو سبحانه وتعالى المحلل والمحرم وليس لأحد تغيير احكامه، ولا تعدية حدوده وإنما عليه وضع النقطة على الحروف قال تعالى: (وَلَا تَتَعَدُّوا إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ * المائدة: ٨٧) وقال: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ * الطلاق: ١) صدق الله العظيم

وعلى ضوء هذه الآيات البيّنات والاحاديث النبوية الشريفة نوجه ندائنا إلى قادة الامة من العلماء والحكام وجميع اولياء الامور بصفة عامة ان يشاركوا على انقاذ هذه الامة التى تكاد تفقد دينها ودنياها وكل شرفها ومعنوياتها. فعليهم أن يؤدّدوا صفوفهم ويضعفوا جهودهم و يعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين و يتبعين على هؤلاء القادة اينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حل الخلافات و

المشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين و الوطن والانسانية
جمعاء.

ومعبروم بالضرورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون
والعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت الى درجة تكفير المسلمين بعضهم بهم مثلما حدث
فعلا من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين تضررت بهم الأخوة والدين والارحام معا.
وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدية في شأن هذه لنزاعات الأشرعية و
وضعت حداً نهائيا لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقا لقوانين الشرعية الاسلامية التي
يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بقيود من حديد على أيدي اولئك المجرمين الذين
يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو حل
هذه الخلافات فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسينتهي الأمر إلى حروب أهلية
لامحالة.

ويتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الائمة
والوعاظ ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه العناية النبيلة و يعلموا أتباعهم وتلامذتهم
ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضا. وان يلازموا الحذر كي لا يتخذهم الشيطان
وسيلة لتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدر و هذه المسئولية الجسيمة التي
وضعها الله على عواتقهم والتي هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) متفق عليه

وذلك ما نزيد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع
كلمتها وحماية وحدتها بدلا من اثاره الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.
وهذا ما تيسر لنا جمعها من هذه المسائل على اننا نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب
جميع ما تتطلبه هذه المواضع من الشرح الطويل و البحث الدقيق وانما هو امتثال فقط
بوجوب النصيحة وإيمان بان الذكرى تنفع المؤمنين.

وفي الختام نتوجه الى الله القدير قائلين اللهم أيد الاسلام واجمع كلمة المسلمين و
وفقههم لرؤية الحق حقا وأعنه على اتباعه ولرؤية الباطل باطلا وأعنه على اجتنابه اللهم
انت الشاهد وكفى بك شهيدا ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه

توكلت واليه انيب سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تقاريف العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفه عرضناها على كثير من علمائنا المفقهيين و
اساتذتنا المشفقين في مختلف الاماكن والاوطان وطلبنا منهم ان يبدوا بأرائهم
وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفه وعباراتها ورجونا
منهم كذلك ان يساعدوا على تحسين ما يصدر فيها من الخطأ والهفوات.

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا. حيث قاموا بمراجعتها و
تصحيحها مرات عديدة وأدخلوا فيها مزيدا من التغييرات والتعليقات حسبما تتطلبه
الحاجة ويقتضيه الموضوع

وأخيرا أعربوا جميعا عن استحسانهم بهذه المؤلفه وتأييدهم لها. ونحن اذ نحمد
الله تعالى في البذل والتمام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا. في
تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعا بلغ الغاية.

ولأدلى على ذلك من هذه التقارير التي كتبوها بمحض إرادتهم وبعثوها إلينا
من مختلف المدن والجمهوريات وفيما يلي نص تلك التقارير على التوالى

حضرة الاخ الحاج مالك به : إننى راجعت الرسالة من اولها الى آخرها كباحث ومتفقد حرفا حرفا بل جملة او كلمة فوجدتها صحيحة وموافقة للموضوع الذى قمت لسببه وهو الرد على الوهابية. فكللمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين. فارجو من الله تعالى ان يزيدك فهما وان يعينك على الاصلاح ما استطعت وان يجعل مثواك غدا مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين.

من الاخ ابى بكر جحتى
مدير مدرسة «سبيل الديانة» موبتى
جمهورية «مالى» MALI

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد فليعلم الواقف على هذه الورقة أن قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحا فوق العاية مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والادب بل هى جريدة حسناء بلغت الغاية فى الجمال.

فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء وأدام شمس سيادتك العلية ورعاك بعين رعايته من حاسد اذا حسد والحمد لله على التمام ودمتم بحير وعافية.

الكاتب عثمان عبد الله سكلتى
المدرس فى مدينة سنس عبد الله عصمه الله
جمهورية «مالى»

ومن مدينة تمبا كندا - بالسنگال - بعث الينا الاستاذ جيران الحسين جاكوب هذا التقریظ القيم استهله بقوله :
قال الحسين بن محمود جاك : شهدت بالله الله فى الله بانك جاهدت جهدك فى سبيل الله جزاك الله عن الاسلام خيرا من اجل فرحى كتبت الحروف بقولى :

الحاج مالك به أفضى برسالة	للرد والتحقيق بل لتودد
فبخ بخ لرسالة مرسومة	بعناية من فيض جود محمد
برواية منقولة من سنة	ودراية ومواهب من ماجد
استاده أى الكتاب المحكم	فجزاه ربي بالجزاء الامجد
قفرور والمفرور كل سادم	فرح الغيور لصون سنة احمد
دم باحثا متضلعا متورعا	متجاهدا حتى تلاقى احمد
صلى عليه الله مادام الهدى	يهدى اليه هداة دين محمد
والآل والاصحاب مع ازواجه	ومن انتمى يوم الدين محمد

اهـ

الحسين بن محمود جاك
الخطيب الاسلامي بدار الاذاعة الوطنية
«تمبا كندا» جمهورية السنغال

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية اتصلنا بالتقريض التالى الذى بعثه الينا رميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا نصه: الحمد لله الذى قدر فهدى والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: ان الاخ المسلم والصدىق المبهى السيد الاستاذ الحاج مالك به جدير بان يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضوا وضحو ارواحهم وهدروا دمائهم الغالية للحق ومن اجل الحق.

وان هذا التأليف لجدير ايضا ان يكتب بماء الذهب والفضة و انى اقسم بالله: قد وضعت النقاط فوق حروفها وقد امطت اللثام عن حركات المشوهين لدين الله واذين حاؤا بالبدع وكفروا كل من خالف بدعهم واهواء هم الفاسدة. والله وقد رادوا الطين نلة لمخالفة رؤساء الاسلام فى مشنة الاغاثة و اخطئوا فى التدبير رغم اجتهادهم فى الدين و كلمة التوحيد اقال الله عثراتنا وعثراتهم.

وانا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين سدد الله

خطاك ايها الاخ المسلم و يبارك فيك وفي قلمك الميمون.

هرون موسى جل
معلم القرآن الكريم في مدينة كيهيد
ج الاسلامية الموريتانية

الحمد لله الذي اهدى الينا السيد الفاضل الفيور والناصر المعين القائم لقمع
البدعة الوهابية الذين هم تركوا السواد الاعظم و خرقوا عصي الاجماع وظنوا انهم على شئ
استحوذ عليهم الشيطان واستولى عليهم حتى تركوا ذكر الله وأنكروا اولياء الله و شتموا
اهل الله وعباده الصالحين لعداوتهم وجراءتهم على الاولياء والصالحين و من نظر الى هذه
المؤلفة بعين الانصاف وأنعم النظر فيها يعلم أن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء من عباده.
اذ اخذ المدرعة لضرب رؤوس اولئك الذين يوحون بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً.
وهذا من اعظم الاجتهاد في سبيل رب العباد والذب عن الاولياء الصالحين
وعباد الله المقربين فجزاه الله خير جزائه.

الحاج سعيد جل - بمكو
جمهورية «مالى»

ولما وقف على هذه المؤلفة الشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن الحاج
يوسف صمب الله دارمى. قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة والاضطراب هذه
الآيات:

من بحر الزخار ذات دلائل	لله درفتى أتى برسالة
ردت دعاوى كل أحمى جاهل	عند راء لم تسبق بميدان الحمى
أبشر فسعيك واصل للعادل	يا مالك العالمين ظهري باطن
من مكر شرذمة بعزم مناضل	صنت الطريقة اهلها بردودها

نرجو بك النصر المبين لنهجننا
اعطاك ربك مبتغاك بهذه
عبد العزيز كتبها بعجالة
انى احبك فى الاله وأحمد
لطريقة القطب الشهير الواصل
وبتلك بالهادى الامين الفاضل
إذ فى القطار يقونى بتمايل [١]
ختم الرسالة والولاية عامل

الاستاذ عبد العزيز دارمى امام الجامع فى مدينة ينقام جمهورية سيراليون
SIERRA LEON

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب على عبده وجعله منهاجا لكل عابد اواب وامره
فيه بان يدعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة (أذع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة النحل: ١٢٥) والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل
(نصر الله امرا سمع منا قبله كما سمعه) قرب مبلغ اوعى من سامع سيدنا محمد الهادى
الى صراطه المستقيم وعلى آله واصحابه حق قدره ومقداره العظيم.
وبعد: فقد اطلعت على - تأليف اخينا فى الله الاستاذ الاديب الاربى الذى انار
الله عقله لخدمة الاسلام والمسلمين السيد (بالحاج مالك) ابقاه الله منارا لكل سالك،
فوجدته مع صغر حجمه احسن وافضل كتاب الف فى هذا الجانب، ولم اتمالك نفسى ان
قلت موجزا:

تبليج نور فى ظلام جهالة
فبدد اوهام الضلال التى بها
على يد شباب مسلم متورع
عنيت به شمس الهداية مالا
فله دره فتى متشمر
ابان لمن رام السعادة والرضى
مبيننا لنا حقا منار الطريقة
يضلل بعض المدعين لسنة
فقيه نزيه ذى تقى ومسروءة
حباء الاله نيل افضل منية
لنصرة دين الله فى كل لحظة
سبيل الهدى مستهلا كل صعبة

(١) لقد كتب سيادته هذا القريض ونحن على متن القطار من مدينة حامى - ومكة العاصمة

وابدى لسالك بكل نصيحة	اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا
و يرشد جاحدا باوضح حجة	تفيض العلوم من يديه غزيرة
حقائق تزي للذعي بحكمة	اتى بعجيب حين عبر معلنا
بنص صريح من كتاب وستة	حقائق اسلامية تزهق باطلا
ظلم كذوب ناسخ للشريعة	حقائق تحصى عن بذاء جاهل
على مؤمن صونا الافضل ملة	ولن يجعل الله السبيل لظالم
على الحق حتى لانبأى بلومة	فيارب وحدين كل الطوائف
بامثاله حتى نفوز بوحدة	دعوناك ربى ان تم لعصرنا
وابدل له عما هفا بفضيلة	فيارب جازه على ما اجاده
و وفر له فيضا باحسن فيضة	وسامح لمحمود وبلغه للمنى
تدوم عليهم من ذكور و نسوة	و عمم لكل المسلمين برحة
واصحابه دوما الى يوم بعثة	وصل على الهادي الكريم وآله

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية ينطلق منها ابناء بلادنا المثقفون المحصلون لدينهم الى تحييص عقيدة الاسلام من الخرافات والاوهام التى يروجها الانتهازيون الذين ينتحلون اسم الدين سعيا وراء اغراضهم الشخصية نسأل الله الهداية والتوفيق انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

الفقير الى الله محمود سليمان بوصو
المدرس بمدرسة «هدى الله» ص.ب: ١٨٣٦ بامكو
جمهورية «مالى»

حمدلن أسدى جلائل الايادى واسدل بسط العلم على من حباه من خواضر
والبوادى. وحصر مذاهب الائمة الاربعة و الطرق الصوفية فى الكتاب و السنة. وجعل
مقلديهم من خيرة اهل السنة و الجماعة. وصلاة وسلاما على مظهر الحقيقة والحق سيدنا
محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد واننى لما من الله على بمطالعة ما آلفه صديقنا الصفي وحبينا الروحي
السيد الحاج مالك به ونظرت اليه بعين التأمل والانصاف فوجدته صحيحاً للغاية فحق
وأيم الله لكل مقلد للامام مالك. ولكل منصف سبيل القصد سالك. أن يستشهد عند
وقوفه على ما اوتى مؤلفه من المعارف والمدارى بقول جمال الدين الامام مالك حين قال: و
اذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما
عسر فهمه على كثير من المتقدمين وأرجوان يجادل عنه الامام رضى الله عنه في دار البقاء
جزاء بمجادلته عنه في دار الفناء. وان يكف عنه اكف القابضين ويقطع بسيف تحقيقاته
رقاب ذوى التنطع الغالين بجاه سيد الاولين والآخرين والحمد لله رب العالمين

عثمان ابن عبد الله يقادو

مدرس القرآن الكريم في مدينة قديتبي

ثيتور ج. مالى

تم بعون الله وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب و ترتيبه وذلك مساء الجمعة ٧ من
شعبان عام ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣ ميلادية نسأل الله سبحانه ان يجعل هذا
العمل خالصا لوجهه الكريم ومقبولا لديه وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وصحبه
اجمعين.

فهرسة الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ اهداء الكتاب	٣
٢ مقدمة الكتاب	٤
٣ خطبة الكتاب والباعث الى وضعه	٦
٤ الاسلام واهدافه في توحيد الأمة	٩
٥ الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع	١٥
٦ الوهابية ومنعها التوسل بالأنبياء والصالحين	٢٢
٧ ما هو الشرك وكم أنواعه؟	٣٠
٨ الوهابية وانكارها للبدع مطلقا	٣٤
٩ بيان في احكام الطرق والاوارد الصوفية	٣٧
١٠ الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب	٤٢
١١ مسألة القبض والسدل	٤٥
١٢ التداوى بالقرآن او باسماء الله تعالى	٥١
١٣ بيان اوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم	٥٤
١٤ هل هم سنيون ام وهابيون	٥٨
١٥ وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها	٦١
١٦ خاتمة الكتاب	٦٣
١٧ تقارير العلماء	٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يهدى من يشاء الى الاسلام والصلاة والسلام على رسوله
صلى الله عليه وسلم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ايها الاخوة الأعزاء ابلغكم التحيات
الطيبة بلا حد وبعد:

رأيت اماما من الوهابيين فى موضع الوعظ فى مدينة يوبو جلسوء وسمعت
وعظه وبعد فراغه منه اتيت وقلت له: ايها الامام انت وجماعتك كلكم فى ضلال
مبين فغضب علي وقال لى: كيف تقول هذا القول؟ فأجبت قائلا: قد استلمت
كتابا من تركيا يسمى بـ (علماء المسلمين والوهابيون). عند ما قرأت هذا
الكتاب عرفت انكم فى ضلال مبين. فقال لى: اريد ان اقرأ هذا الكتاب فأعطيته
له وقرأ الكتاب بتمامه فى ثلاثة ايام. فرد على الكتاب وقال لى ما اسمك يا
عزيزى فأجبت بـ أن اسمى غامسورى عمر فقال قد صدقت يا عمر وعرفت الآن
اننا كنا فى ضلال مبين واترك انا واهلى هذا الطريق الباطل واتوب الى الله تعالى
توبة نصوحا واخذ يأتينى حينما فحينما ويشكر لى فى كل فرصة فأهديت له ذلك
الكتاب مع كتاب (مفتاح الفلاح)

ونشكر لى شكرا جزيلا وندعو لى سعادة الدارين ونطلب منكم
الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التى طبعتها مطبعة الاخلاص
وفى ختام رسالتى احمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم فى الله غامسورى عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الشيخ الاغر الكبيريت الاحمر حسين حلي بن سعيد
استانبولي تركية والى سائر الاخوة الاعزاء اسعد الله اوقاتكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحمد الله سبحانه الذي لا اله الا هو ونشكره على ما اسفغ علينا

من نعمة التي لا تحصى ونصلي على رسول الله خاتم النبيين وامام

المجاهدين وعلى آله واصحابه اجمعين

ونشكر سماضكم الكريمة لما تقومون به وتبذلونه من جهد

كبير ونسبج كثير نحونا ونحو طلاب معهد روضة الاسلام

بجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيرا كثيرا

وبعد : فيمعدني جدا ان احيطكم علما باذجميع ما

تلقينا من سماضكم الكريمة من كتب اسلامية

صوفية وما تلقيتها طلاب معهد روضة الاسلام

قد وصل جميعها الينا ويبلغ عدد المبعوثة الينا والى

الطلاب مائتي ملبة وكل ملبة ثلاث كتب او ما يزيد

ومكتوب على كل ملبات اسم صاحبها من الطلاب والمدرسين

ويبلغ نصيب كل منهم خمسة كتب فصاعدا

ونرجو من سماضكم الكريمة ان لا تقطعوا عنا هذا المشروع

الكريم والله وحده يكافئكم ويجازيكم غير اننا فقراء مالنا

يد طوي تصل اليكم ولكن مع كل ذلك سنبذل جهد المستطيع

فيما طلبتموه من العامة ارسال التبرعات في شكل القسيمة

ان شاء الله تعالى

١٤٠٤
رسة هـ ق
١٣٦٢ هـ ش

بسم الله الرحمن الرحيم
على الأضوة الأعزاء يرأسهم الشيخ الأكبر حسين علي
ابن سعيد استأفوني تركية امعد الله اوقاتكم واطال حياتكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بشرى جيد ان تقدموا الى الطلاب الجاهلين والمجيع
الاخوان في انحاء العالم هذه النسخة الموجهة وانصها

أمة الإسلام اعلوا ان عقائد الوهابية منحصرة في اربعة اشياء
١ امانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه طارئ
٢ اهاية اولياء الله الكرام رضي الله عنهم اجمعين
٣ تكفير السواد الاعظم الموحدين
٤ تحسيم الله سبحانه وتعالى

وَقَدْ جَعَلْتُمَا هَذِهِ الْاَبْيَانِ

وَالْتَصَحَّ فَرَضُ عَلَى الْاِخْوَانِ فِي الْحَكَمِ
قَدْ سَأَعَ اِثْلًا قِيَمًا الْحِلَّ وَالْحَرَمِ
فُضِّلَ عَلَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ كَالرَّسَمِ
وَأَنَّهُ طَارِئٌ لَا فَاتِحَ الْيَوْمِ
مُلْتَمَسُ الْخَيْرِ أَنْتَ عَائِدُ الضَّمَمِ
عَلَى كَمَاءٍ فَكَيْفَ كَانَ فِي الْقَدَمِ
مِنَ الْبَقَاقِ وَضَعُوا الْعَقْلَ وَالْفَهْمِ
يُسَمُّونَ الْمُوَحِّدَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْوَحْمِ
سَادَاتِنَا ة إِلَهٍ وَالْقُصْبِ لَهُمِ

إِنِّي نَصِيحٌ لَكُمْ يَا أَفْضَلَ الْأَمَمِ
أَنَّ الْوَهَابِيَّةَ الْمُتَلَعُونَ الْمَلَلِ
يَقُولُ سَأَلَهَا النَّبِيُّ لَيْسَ لَهُ
وَأَنَّهُ لَا يَطِيعُ التَّبَعُ الْبَشَرِ
يَقُولُ سَأَلَهَا وَابْنُ زَيْدٍ ذَاكَرَمِ
يَقُولُ سَأَلَهَا الرَّحْمَنُ مُتَجَلِّسِ
عَمَّتْ بِصَيْرَتِهِمْ عَنْ مَسْئَلَةِ الرَّسَدِ
يَا لَيْتَنِي تَعْلَمُونَ مَا أَعْدَدْتُ لِي
صَلَّى إِلَهِةَ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى

جمهورية مالى

تظلمة Rp.

ابيات طالب المعهد دوسة الاسلام
مهر الشيع جبر بن محمد العربي جبر

اَحْمَدُ بْنُ الْإِصْبَاقِ

اتحاد أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة ترجمة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

بشرى كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

تونس 1963

وفي الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1229 . تسع وعشرين ومائتين وألف (الاثنتين 13 جوان 1814 م) . ورد البشير من الدولة العثمانية . بأخذ الحرمين الشريفين من يد الوهابي ، وأعلنت مدافع الحاضرة سرورا بذلك .

ولا بأس أن نلمّ بخبر هذا الوهابي :

وهو أن رجلا يقال له محمد بن عبد الوهاب ، من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، منع زيارة القبور ، حتى قبور الانبياء ، ومنع التوسّل بهم الى الله تعالى ، والبناء على قبورهم وصرّح بكفر من يفعل ذلك وسمّاه مشركا ، زاعما أن الزيارة والتوسل عبادة ، وهي لا تكون الا لله تعالى . وترامت بهذا الرجل الاسفار الى أن استقرّ بالدرعية من أرض نجد ، فصادف بها آذانا واعية ، وقلوبا من العلم خاوية ، وألقى لكبيرهم سعود هذا المذهب ، واستدلّ له بظواهر آيات وأحاديث اغترّ بها عامتهم حتى استباحوا قتال المسلمين . ولم يزل هذا المذهب ينمو الى أن أفضى الامر لسعود بن عبد العزيز بن سعود . القائم الاول ، فعظم الامر في زمنه ، ونصب حربا للمسلمين عموما . ولاهل الحجارة خصوصا ، وصدهم عن بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الانام ، وعاث في أهل الحجارة . وأطلق يد القتل والنهب فيهم . واستحكم هذا المذهب في قلوب أتباعه ، والتحموا به التحام النسب . واشتدت عصبيتهم وقويت ، فطلبوا غايتها وهي الملك والسلطان . وأقاموا دعاة يدعون الناس الى مذهبهم ، مع رسائل وجهوها لآفاق المسلمين . فوصلت منها رسالة للقطر التونسي نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم . نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضللّ الله فلا هاديّ له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضرّ الا نفسه ولا يضرّ الله شيئا . أما بعد ، فقد قال الله تعالى : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (١) . وقال الله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ »

ذُنُوبِكُمْ» (١) . وقال الله تعالى . « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (٢) . وقال الله تعالى . « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » (٣) . فأخبر سبحانه أنه أكمل عليكم دينكم بعنيتي ورَضِيتُ لَكُمْ الإسلامَ دِينًا (٤) . فأخبر سبحانه أنه أكمل لدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . وأمرنا بدروم ما أتى به اليما من ربه . وترك البدع وتمترق والاختلاف . وقال تعالى : « اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (٥) . وقال تعالى : « وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا سُلُوكَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٦) .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته آخذة ما أخذه الامم قبلها شيئا فشيئا ودراعا فدرعا . وأخبر في الحديث أن أمته ستفترق ثلاثا وسعين فرقة كلُّها في الدار الا واحدة . قلوا : « من هي يا رسول الله ؟ » قال : « مَن كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » .

وأذا عرفت هذا ، فمعلوم ما عمت به ابتلوى من حوادث الامور التي أعظمها الإضرارُ بالله . والتوجهُ الى الموتى . وسؤالهم النصرَ على العبدى . وقضاء الحاجات . وتزيج الكُرُبات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات . وكذلك التقرب اليهم بالدور . وذبح القرذات . والاستعانة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد . الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى .

وصرف شيء من أنواع عبادة لغير الله كصرف جميعها . لانه سبحانه أغنى الاغنياء عن الشركاء . ولا يقبل من العمل الا ما كان حلصا لوجهه . وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والالياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ، ويشعروا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى . « وَبَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَبْصُرُهُمْ وَلَا يَشْعُرُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنَسْتُونَ اللَّهَ يَسَّ لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٧) . فأخبر

أن من جعل بينه وبين الله وسائط لاجل الشفاعة فقد عبدَهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (1) و « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (2) وقال تعالى : « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا » (3) . وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى » (4) . فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، كما قال تعالى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (5) . وقال تعالى : « وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَئِنْ لَكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ » (6) . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدمُ فَمَنْ دونه تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، ولا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخبرُ الله ساجدا ، فيحمده بمحامد يعلمه إياها ، ثم يقول له : « ارفع رأسك وسمِّلْ تَعْطُ وَاشْفَعْ تَشْفَعْ » ، ثم يتحيدُ له حداً فيدخلهم الجنة . فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ؟ وهذا الذي ذكرنا لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم . وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها وجعل الصدقة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها ، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر حق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد أقوام من أمتي الاوثان » .

وهو صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد أعظم حماية ، وسدَّ كل طريق موصل الى الشرك ، فنهى أن يجصص القبر ويبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه لفظ : أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً الا سوءاً . ولذلك قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور » ، لانها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

(1) س 39/44 - 2 س 255 1/2 - 3 س 109 1/20 - 4 س 28 1/21 - 5 س 72 1/2 - 18
(6) س 106 1/20

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل الامر الى أن كفرونا وقَاتَلُونَا واستَحَلُّوا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا . حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونَقَاتِلُهُمْ عليه ، بعد ما نقيمُ عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الائمة ، محتلين لقوله تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ » (1) . فمن لم يُجِبِ الدعوةَ بالحجة والبيان ، دعوانه بالسيف والسَّنان ، كما قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ » (2) .

وندعو الى اقامة الصلاة وابتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، والله عاقبة الامور .
فهذا ما نعتقد وندين الله به . فمن عَمِلَ على ذلك فهو أخونا المسلم . له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك . انتهى .

ولا يخفى أن هذا الرجل ، بنى شُهرته على أن التوسل الى الله ببركة الانبياء فَمَنَ دُونَهُمْ عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله . وما درى أن العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة ، سواء كانت معقولة المعنى أو تَعَبُدِيَّة ، وأن ما خرج عن التكاليف الشرعية ليس من العبادة في شيء . ولم يفرّق بين البدعة الموصلة الى الكفر ، المقتضي للقتال ، واستباحة الدماء والاموال ، وبين غيرها ، وانما قصد ملكا يريد الحصول عليه بعصية دينية .

ولما شاعت هذه الرسالة في القطر التونسي ، بعث بها البايع أبو محمد حمودة باشا الى علماء عصره ، وطلب منهم أن يوضحوا للناس الحق ، فكتب عليها العلامة المحقق ، نسيح وحده . أبو الداء اسماعيل التميمي ، كتانا مطولا نديعا ، يدل على يد طرولي

وسعة اطلاع . سماه « المنح الالهية في طمس الصلالة الوهانية » ، وأحاط عنها العلامة المحقق فخر عصره أبو حفص عمر ابن المفتي العلامة فخر المذهب المالكي أبي الفضل هاشم المحبوب ، برسالة بدیعة مشتمة على الرد عليه ، في قصده الذي صرح به والذي أشار اليه ، وهي المطابقة لمقتضى الحال ، يذكرها عوض ما أضربنا عنه من المقامات ، وأشعار التكسب التي لا تفيد الا التقرب للممدوح . ونصها .

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (1) ،
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَتَجْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ (2) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ
ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ (3) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ
وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ فَضْلًا مِّنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (4) .

أما بعد هذه الفاتحة ، التي طلعت في سماء المفاتحة ، فانك راسلتنا نزعم أنك
القائم بنصرة الدين ، وانك تدعو على بصيرة لِمَا دعا اليه سيد الاولين والآخرين ، وتحث
على الاقتفاء والاتباع . ونهى عن الفرقة والابتداع ، وأشرت في كتابك الى النهي عن
الفرقة واختلاف العباد ، فأصبحت كما قال الله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ (5) .

وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الاسلام أمورا ، وأشركوا بالله من الاموات
جمهورا ، في توسلهم بمشاهد الاولياء عند الازمات ، وتشفعهم بهم في قضاء الحاجات ،
ونذر النور اليهم والقربات ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، وان ذلك كله اشراك برب

الارضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات ، ولعمر الله أنك قد ضللت وأضللت ، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشنت وهولت ، وعلى تكفير السلف والخلف عولت ، وها نحن نحاكمك الى كتاب الله المحكم ، والى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما ما أقدمت عليه من قتال أهل الاسلام ، وإخافة أهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة ، وأدتمت اضرار الحرب بين المسلمين وإيقاده ، فقد اشترينتم في ذلك حطام الدنيا بالآخرة ، ووقعتم بذلك في الكبائر المتكاثرة ، وفرقتكم كلمة المسلمين ، وخلعتم من أعناقكم ربقة الطاعة والدين ، وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ » (1) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - أَيِ مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ - فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بَحْقَهَا ، وَحَسَابَهُمْ عَلَى اللَّهِ » .

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا ، ولعماد سنته مستندا ، فكيف بعد هذا - ويحك - تستحل دماء أقوام بهذه الكلمة ناطقون ، وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون ، ولدعائم الاسلام يُقيمون ، ولحوزة الاسلام يحمون ، ولعبدة الاصنام يقاتلون ، وعلى التوحيد يناضلون ، وكيف قذفت أنفسكم في مهواة الالحاد ، ووقعتم في شق العصا والسعي في الارض بالفساد ؟ .

وأما ما تأولته عليهم من تكفيرهم بزيارة الاولياء والصالحين ، وجعلهم وسائط بينهم وبين رب العالمين ، وزعمت ان ذلك شئنة الجاهلية الماضية ، فنقول لكم في جوابه : معاذ الله أن يعبد مسلم تلك المشاهد ، وأن يأتي اليها معظما تعظيم العابد ، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام ، وأن يعبدها بسجود أو ركوع أو صيام ، ولو وقع ذلك من جاهل لانتفض اليه ولالة الامر والعظماء ، وأنكره العارفون والعلماء ، وأوضحوا للجاهل المنهج القويم ، وهدوه الصراط المستقيم .

وأما ما حنحت اليه ، وعوات في التفكير عليه . من التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على العدى . وقضاء الحاجات . وتفريخ الكردات . التي لا يقدر عليها الا رب الارضين والسموات . الى آخر ما ذكرتم ، مؤقدا به بيران الفرقة واشتات . فقد أخطأت فيه خطأ مبينا . وابتغيت فيه غير الاسلام دينا . فان التوسل بالمخلوق مشروع . ووارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفعمة ، وأدلتة كثيرة محكمة . تضيق المهارق عن استقصائها . وبكيل اليراع اذا كلف باحصائها . ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين ، في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، واستسقاؤهم عام الرمادة بالعباس ، واستدفاعهم به الجذب والباس . وذلك أن الارض أجذبت في زمن عمر رضي الله عنه ، وكانت الريح تذررو ترابا كالرماد لشدة الجذب . فسميت عام الرمادة لذلك ، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب يستسقي للناس . فأخذ يَضْبَعِيْهِ ، وأشخصه قائما بين يديه . وقال : اللهم إني أتقرب اليك بعم نبيك ، فانك تقول وقولك الحق : « وأما الجدارُ فكانَ ليغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا » (١) . فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه . فقد دوننا به اليك مستغفرين . ثم أقبل على الناس وقال : استغفروا ربكم انه كان غفارا . والعباس عيناه تنصاحا يقول : اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضتعة . فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى . وأنت تعلم السر وأخفى . اللهم فأغثهم بعيائك قل أن يقتطوا فيهلكوا . انه لا يأس من روحك الا القوم الكافرون . اللهم فأغثهم بغيائك فقد تقرب القوم إليك بمكانتي من نبيك عليه السلام . فنشأت سحابة ، ثم تراكت ، وماست فيها ريح ، ثم هزت ، ودرت بغيث واكف . وعاد الناس يتمسحون بردائه ويقولون له : هنيئا لك ساقي الحرمين .

فأخبرني - يا أخا العرب - هل تكفر بهذا التوسل بهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وتكفر معه سائر من حضر من الصحابة والتابعين ، لكونهم جعلوا بينهم وبين الله واسطة من الناس ، وتشفعوا اليه بالعباس ، وهل أشركوا بهذا الصنيع مع الله

غيره ، وما منهم الا من أنهضته للدين القويم غيرته . كلاً والله ، وأقسم بالله وتالله ، بل مكفرهم هو الكافر ، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر ، وهم أهدي سبيلاً ، وأقوم قبلاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اقتسوا بمن بعدي ، أبي بكر وعمر » . وإذا قدحت في هذا الجمع من الصحابة الذين منهم عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وغيرهما ، فمن أين وصل لك هذا الدين ، و[من] رواه لك مبلغاً عن سيد المرسلين ؟ ثم ما تصنع يا هذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في أويس ، وأنه أخبر به عليه الصلاة والسلام وهو من أعلام النبوة ، وأمر عمر بطلب الاستغفار منه ، وأنه طلب منه ذلك واستغفر له . وقد قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : « يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ » (١) .

فالزائر للأولياء والصالحين اما أن يدعو الله لحاجته ، ويتوسل بسر ذلك الولي في إنجاح بُغيته ، كفعل عمر في الاستسقاء ، أو يستمد من المزور الشفاعة له وإمداده بالدعاء ، كما في حديث أويس القرني ، إذ الاولياء والعلماء كالشهداء أحياء في قبورهم ، انما انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء .

فأي حرج بعد هذا يا أيها القائم للدين ، في زيارة الاولياء والصالحين ؟ وأي منكر تقوم بتغييره ، وتفتحم شقّ العصا وإضرار سعيه ؟ ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون أنواعا كثيرة من الشفاعة ، ولا يثبتونها الا لاهل الطاعة ، كما أنه يلوح من كتابك انكار كرامات الاولياء ، وعدم نفع الدعاء ، وكلها عقائد عن السنة زائغة ، وعن الطريق المستقيم رائغة .

وقولكم ان ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، افتراء وميّن ، والحاد في الدين ، لان أهل السنة والجماعة ، يثبتون لغير الانبياء الشفاعة ، كالعلماء والصلحاء وآحاد المؤمنين ، فمنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للفئام من الناس ، كما ورد أيضا أن أويس القرني يشفع في مثل ربيعة ومضر . وأما المعتزلة فانهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثبتوا الشفاعة العظمى من هول الموقف ، والشفاعة للمؤمنين المطيعين أو الثابتين في رفع الدرجات ، ولم يثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر الذين لم يتوبوا ، في النجاة من النار ، بناء على مذهبهم الفاسد من التكفير بالذنوب ، وأنه يجب عليها التعذيب .

وأما ما جنحت اليه من هدم ما بنى على مشاهد الاولياء من القباب ، من غير
تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهياء والعطيمة العظمى من الظلم ، التي
أضلك الله فيها على علم ، « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ
فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا
خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . (١)
وكأنك سمعت في بعض المحاضر ، بعض الاحاديث الواردة في النهي عن البناء على
المقابر ، فتلقفته مجملًا من غير بيان ، وأخذته جزأفا من غير مكيال ولا ميزان ،
وجعلت ذلك وليجةً الى ما تقلدته من العسف والطغيان ، في هدم ما على قبور الاولياء
والعلماء من البنيان . ولو فاوضت الائمة ، واستهديت هداة الامة ، الذين خاضوا من
الشريعة لججها ، واقتحموا ثبجها ، وعالجوا غمارها ، وركبوا تيارها ، لاخبروك
أن محل ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء في مقابر المسلمين ، المعدة لدفن
عامتهم لا على التعمين ، لِمَا فيه من التحجير على بقية المستحقين ، ونش عظام المسلمين .
وأما ما بينه المسلمون أو الكفار في أملاكهم الملوكة لهم ، ليصلوا بمن يدفن
هناك جلتهم ، فلا حرج يلحقهم . ولا حيرمة ترهقهم . فكما لا تحجير عليهم في بناء
أملاكهم دورا أو حوانيت أو مساجد ، كذلك لا حرج عليهم في جعلها قبابا أو
مقامات أو مشاهد .

ثم ليتك اذ تلقفت ذلك منهم ، ووعيته عنهم ، أن تعيد عليهم السؤال . وتشرح
لهم نازلة الحال ، وهل يجوز بعد النزول والوقوع . هدم ما بنى على الوجه الممنوع ،
وهل هذا التخريب محذور أو مشروع . فاذا أجابوك أنه من معارك الانظار ، ومحل
اختلاف العلماء والنظار ، وأن منهم من يقول بإبقائه على حاله ، رعايا للحائز في اتلاف
ماله ، وأن له شبهة في الجملة تحميه ، وفي ذلك البناء منفعة للزائر تقييه . ومنهم من
شدد التكبير ، وأبى الا الهدم والتغيير . فاذا تحقق عندك هذا ، فكيف تقدم هذا
الإقدام وتخوض مزلق الاقدام ، وتطلق العنان في هدم كل مقام ، من غير مراعاة لـ
في الدين ولا دمام . فاذا انفتحت لك هذه الابواب ، نظرت بنظر آخر ليس فيه ارتياب ،

وهو أن المنكر الذي اقتضى نظرك تغييره ، ليس منفقا عليه عند أهل البصيرة ، وأنه من مدارك الاجتهاد ، وقد سقط عنك القيام فيه والانتقاد . ثم بعد الوصول الى هذا المقام ، أعد نظرا في ايقاد نار الحرب بين أهل الاسلام ، واستباحة المسجد الحرام ، واخافة أهل الحرمين الشريفين ، والاستهوان لاصابة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فسينضح لك أنك غيرت المنكر في زعمك ، وبحسب اعتقادك وفهمك ، وأتيت بجمل كثيرة من المناكر ، وطائفة عديدة من الكبائر ، آذيت بها نفسك والمسلمين ، وابتغيت بها غير سبيل المؤمنين ، وتعرضت بها لاذاية الاولياء والصالحين ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام ، في حديث رواه البخاري والامام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذني بحرب » ، فكفى بالتعرض لحرب الله خطرا ، وقذفا في العطب وضرا .

واما إنكار زيارة القبور ، فأبي حرج فيها أو محذور ، وأي ذميمة تطرقها أو تعروها ، مع ثبوت حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » . فان هذا الحديث ناسخ لما ورد من النهي عن زيارتها ، وراح لما في أول الاسلام من حماية الأئمة من أسباب ضلالتها ، لقرب عهدهما رجاهليتها ، وعبادة أصنامها وآلهتها . وكيف تمنع من زيارتها ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرعها ، وسام رياضتها وأرْبَعُها ، فقد ثبت في حديث عائشة أم المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم زار بقيع الغرقَدِ واستغفر فيه لموتى المسلمين ، وثبت أيضا أنه زار قبر أمه آمنة بنت وهب واستغفر لها .

وأخذ بذلك الصحابة والتابعون ، ودرج عليه العلماء والسلف الماضون ، فقد ثبت في الاحاديث المروية عن أئمة الهدى ، ونجوم الاقتداء ، أن فاطمة سيدة نساء العالمين زارت عمها سيد الشهداء ، وذهبت من المدينة الى جبل أحد ، ولم ينكر من الصحابة أحد ، وهم اذ ذاك بالمدينة متآمرون ، وعلى اقامة الدين متناصرون . أفتجعل هؤلاء أيضا مبتدعين ، وأنهم سكتوا عن الابتداع في الدين ؟ كلا والله ، بل يجب علينا اتباعهم . ومن أدلة الشريعة إجماعهم .

وقد مضت على ذلك العلماء في جميع الاقطار . وانتدبوا بأنفسهم للاستمداد من قبور الصلحاء ، وقضاء الاوطار . وخلدوا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم . وسطروه في

دواوينهم وتعليقاتهم وقسموا الزيادة الى اقسام وأوضحوا ما تلخص لديهم من الاحكام وذلك أن الزيارة ان كانت للاتعاط والاعتبار ، فلا فرق في جوازها بين قبور المسلمين والكفار ، وان كانت للترحم والاستغفار من الزائر ، فلا منع فيها الا في حق الكافر ، فان الشريعة أخبرت بعدم غفران كفره ، وعليه حملوا قوله تعالى : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بَمَاتٍ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ » (1) . وان كانت الزيارة لاستمداد الزائر من المزور ، وتوخي المكان الذي فضله مشهور ، والدعاء عند قبره لامر من الامور ، فلا خرج فيها ولا محذور ، بل هو مندوب اليه ، ومرغوب فيه ، وانه مما تشدُّ المطي اليه ، ومن خالف في هذا الحكم سبيل جمهورهم ، واتبع من الشبهات مخالف منشورهم ، فقد شدد العلماء في النكير عليه ، وسددوا سهام النقد اليه ، وأشرعوا نحوه رماح التضليل ، وأرهقوا له سيوف التجهيل ، واتفقت كلمتهم على بدعته في الاعتقاد ، وثبوا اليه عنان الانتقاد ، « وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » .

وأما التهيي الوارد في شد المطي لغير المساجد الثلاثة فانما هو بالنسبة لنذر الصلاة فيها ، فانه لا يختلف ثواب الصلاة لديها .

وأما المزارات فتختلف في التصريف مقاماتها ، وتفاوتت في ذلك كراماتها ، وذلك لسر في الاستمداد والامداد لا تطلع عليه ، وضُرِمَ بسور له باب بينك وبين الوصول اليه ، وقد أوضح ذلك حجة الاسلام ، ومن شهد له بالصدقية العلماء والاولياء العظام .

وأما ادماجكم لقبور الانبياء في أثناء النكير ، والتضليل لزارتها والتكفير ، فهو الذي أحفظ عليكم الصدور ، وأترع حياض الكراهة والنفور ، وسدد اليكم سهام الاعتراض ، وأوقد شواطئ البغض والارتماس .

فقل لي - يا أخا العرب - هل قمت لنصرة الدين أم لنقض عرّاه ، وهل أنت مصدق بالوحي لنبيه أم قائل : لِمَنْ هُوَ إِلَّا إِنْكَ افتراه ؟ وما تصنع بعد اللتيّ والتي ، في حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ؟ وأخبرني هل تضلّل سليمان بن داود

في بنائه على قبر الخليل ، ومن معه من أنبياء بني اسرائيل ؟ وما تقول -- ويحك -- في الحديث الذي رواه جهايزة الرواة ، وصححه المحدثون الثقات ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لما أسري بي الى بيت المقدس ، مر بي جبريل على قبر ابراهيم عليهما السلام ، فقال لي إنزل فصل هنا ركعتين ، فان ههنا قبر أبيك ابراهيم عليه السلام ؟ وعنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أنه قال : « من لم تُمكنه زيارتي فليزر قبر ابراهيم الخليل عليه السلام » . فأين تذهب بعد هذا يا هذا ؟ وهل تجد لنفسك مدخلا أو معاذا ؟ وهل أبقيت بعد تضليل جميع الانبياء ملاذا ؟ « رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » . (1)

وأما تلميحكم للحاديث التي تتلقفونها ، ولا تحسنونها ولا تعرفونها ، فهيمت بسبب ذلك في أودية الضلالة . ولم تشيئوا بها الا برُوق الجهالة ، وسلكتم شيعاتها من غير خبير . ونحوتم أبوابها بلا تدبر ولا تدبير ، فان حديث « لا تتخذوا قبوري مسجدا » ، محتمله عند البخاري على جعله للصلاة متعبدا ، حفظا للتوحيد ، وحماية للجاهل من العبيد ، لان المصلّي للقبلة يصير كأنه مصل اليه ، فحمى صلى الله عليه وسلم حمى ذلك من الوقوع فيه . وأما قصده للزيارة والاستشفاع ، والاستعداد ببركته والانتفاع ، وقصد المسلمين اياه من سائر البقاع ، فما يسعنا الا الاتباع .

وكذلك ما لوحّت به الى شدّ الرّحال ، فانك أخطأت في الاستشهاد به في نازلة الحال ، وذلك أن الحصر في المساجد ، دون سائر المشاهد .

وكذلك ما لمحت اليه من حديث تعظيم القبر باسراجه ، فانك أخطأت فيه واضح منهاجه ، مع بهرجة نقده في رواجه ، ومحتمله -- على فرض صحته -- على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن الانتفاع للزائرين ، أما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين ، فهو جائز بلا مّين .

وأما ما تدّعون من ذبح الذبائح والتذوّر ، وتبالغون في شأنها التغيير والتنكير ، ونصف أستمكم الكذب ، وتثيرون في شأنها الهرج والشغب ، فكون الذبائح المذكورة مما أهّل به لغير الله مكابرة للعيان ، وقذف بالافك والبهتان ، فانّا بلونا أحوال أولئك الناذرين ، فلم نر أحدا منهم يسمّي عند ذبحها اسم ولي من الصالحين ، ولا يطلّخ

الضَّرَائِع ، بدم تلك الذبائح ، ولا يأتون بفعل من الأفعال ، الحاكمة على تحريم الذبيحة والأهلال .

وأما نذرها لتلك المزارات ، فليس على أنها من باب الديانات ، ولا أن من لم يفعل ذلك يَكُنْ ناقص الدين في العادات ، وإنما يقصدون بذلك مقاصد الرُقَى والنُّشْرِ (١) ، والانتفاع في الدنيا بسر في التصديق بها استر ، ولم يدر منها إلا ما اشتهر .

والواجب علينا وعليكم الرجوع في حكم نذرها الى العلماء الاعلام ، المتصلعين من دراية الأحكام ، المقيمين لقسطاسها ، المسرحين لنبراسها ، الناقبين على أساسها ، ومن لديهم محك عَسَجِدِها ونحاسِها .

فان كنتم للحق تقيمون ، ومن مخالفة الشريعة تتجرمون ، « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » ، « وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ » . فانهم يهدونكم السبيل ، ويفتونكم في هذه المسألة بالتفصيل ، وأن هذا الناذر ان نذر تلك الذبائح للولي المعين بلفظ الهدى والبدنة ، فقد جاء بالسيئة مكان الحسنة . ولكن ما رأينا من خلع في هذا المحظور رَسَنَه ، ولا من اهْتَصَرَ فَتَنَه ، وإن نذر تلك الذبائح لمحَل الزيادة ، بغير هاته العبارة ، وكان من الذبائح التي تقبل أن تكون هديا . فهل يلزمه أن يسعى به لذلك المزار سعيا ، أو لا يلزمه الا التصديق به في موضعه رعبا ، خلاف في مذهب مالك شهير ، قرره العلماء النحارير . وان كان ذلك النذر مما لا يصح إهداؤه ، فالقاصد للفقراء الملازمين بمحل الشيخ يلزمه بعثه وإنهاؤه ، والقاصد للولي في نذره وتشرعته (٢) ، لا يلزمه الا التصديق به في موضعه .

واذا اتضح لديك الحال ، فأَي داعية للحرب والقتال ؟ وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحظور ، الا بالنيات التي لا يعلمها الا العالم بما في الصدور ؟ والله انما كلفنا بالظاهر ، ووَكَّلَ اليه أمر السرائر . ولم يقيِّض بالخواطر نقيبا ، ولا جعل عليها مهيمتا من الولاة ولا رقبيا .

(١) النشرة صم اللون : صرب من الرقية والعلاج . بمصالحه من كان يطر أن به مما من الجن (النهاية لابن الأثير)

(٢) تشرع : اتبع شريعة أو دينا (دوزي)

واذا التزمت مدَّة الذريعة بالمنع من المشروع ، خوفاً من الوقوع في المنوع ، فالتزم هذا الالتزام ، في سائر العبادات الواقعة في الاسلام ، التي لا تفرقة فيها بين المسلم والكافر ، الا بما انطوت عليه الضمائر . فان المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة الحجارة . بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة ، والصائم يحتمل أن يقصد بصومه نصحيح المزاج ، أو المداواة والعلاج ، والمزكي يحتمل أن يقصد مقصداً دنيوياً ، أو معبوداً جاهلياً . والمحرم بحجٍّ أو عمرة ، يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره .

واذا وصلت الى هذا الالتزام ، نقضت سائر دعائم الاسلام ، والتبس أهل الكفر بأهل الايمان ، وأفضى الحال الى هدم جميع الاركان ، واستبيحت دماء جميع المسلمين ، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين .

فانظر أيها الانسان ، ما هذا الهذيان ، وكيف لعب بك الشيطان ، وماذا أوقعك فيه من الحسران . فارجع عن هذا الضلال المبين ، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين .

وأما ما جلبتم من الاحاديث الواردة في تغيير النبي صلى الله عليه وسلم للقبور ، وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطمسها وتسويتها ، فقد أخطأتم الطريق في فهمها ، ولم يأتكم نبأ عِلْمِهَا ، ولو سألتهم عن ذلك ذويه ، لآخبروكم بأن محمله طمس ما كانت الجاهلية عليه ، وكانت عاداتهم اذا مات عظيم من عظمائهم ، بنوا على قبره بناء كَأُطْمٍ من آطامهم ، مباهاة وفخرا ، وتعاظما وكبرا ، فبعث صلى الله عليه وسلم من يمحو من الجاهلية آثارها ، ويطمس مباهاتها وفخارها ، والا فلو كان كما ذكرتم ، لكان حكم التسنيم (١) كحكم ما أنكرتم .

واذا استبان لكم واتضح لديكم ، انقلبت الحجة التي أنتم بها عليكم ، وكيف تجعلون تلك الاحاديث حجة قاضية ، على وجوب كون القبور ضاحية (٢) ، والفرق ظاهر بين البناء على القبور ، وحفر القبور تحت البناء ، فالاول من فعل الجاهلية الوارد فيه ما ورد ، والثاني هو الذي يعوزكم فيه المستند ، ولا يوافقكم على تميم النهي احد .

(١) تسنيم القبر خلاف تسطيحه . وقبر مسم إذا كان مرفوعا عن الأرض (اللسان)

(٢) الصاحي من كل شيء البارز الطاهر (اللسان)

وأما ما نزعتم اليه من التهديد ، وقرعتم فيه بآيات الحديد . وذكرتم «أن من لم يُجِب بالحجة والبيان ، دعواه بالسيف واللسان» . فاعلم يا هذا أننا لسنا ممن يعدد الله على حرف ، ولا ممن يفرُّ عن نصرة دينه من الزحف ، ولا ممن يظن بربه الطنون ، أو يتزحزح عن الوثوق بقوله تعالى : « فَاذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (1) ، ولا ممن يميل عن الاعتصام بالله سرّاً وعلناً ، أو يشك في قوله تعالى : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » (2) ، وما بنا من وهن ولا فشل ، ولا ضعف في النكابة ولا كسل ، نتصر للدين ونحامي حماه ، وما النصر الا من عند الله .

وأما ما جال في نفوسكم ، ودار في رؤوسكم ، وامتدت اليه يد الطمع ، وسوّته الاماني والخذع ، من أنكم من الفئة الذين هم ومن حالفهم ، لا يضرهم من خالفهم ، وأنكم من الطائفة الظاهرين على الحق ، وأن هذه المناقب تساق اليكم وتُحق ، فكلّا وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب ، أو يصير لكم ارثها بفرض أو تعصيب ، فان هذا الحديث وإن كان واردا صحيحا ، الا أنكم لم تَوْقُوا طريقه تنقيحا ، فان في بعض رواياته « وهم بالمغرب » وهي تحجبكم عن هذه المناقب ، وتبعدكم عنها بعد المشارق من المغارب .

فانفض يديك . مما ليس اليك ، ولا تمدّ عينيك ، الى من حرّمت عليك . فانكاح الثريا من سهيل ، أمكن من هذا المستحيل .

أما أهل هذه الاصقاع ، والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع ، فهم أجدر أن يكونوا من اخواننا ، وتمتد أيديهم الى خيوانها ، لصحة عقائدهم السنية ، واتباعهم سبيل الشريعة المحمدية ، ونبذهم للابتداع في الدين ، وانقيادهم للاجماع وسبيل المؤمنين .

وقد أنبأنا في هذا الكتاب ، وأعربت في طي الخطاب ، عن عقائد المبتدعة ، الزائغين عن السنة المتبعة ، الراكبين مراكب الاعتساف ، الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف ، فالنصيحة النصيحة ، أن تترع لباس العقائد الفاسدة وتسربل العقائد الصحيحة ، وترجع الى الله وتؤمن بلفاه ، ولا تكفر أحدا بذنب اجتناه . فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزين الله .

وزبدة الجواب وفذلكة الحساب ، انك ان قفوت يا أخا العرب نصحك ، وأسوت
 بالتوبة جرحك ، وأدملت بالانابة قرحك ، فمرحبا بأخي الصلاح ، وحبّهلّا بالمؤازر
 على الطاعة والنجاح ، وجمع الكلمة والسماح ، وإن أطلت في لُجّة الغواية سبّحك ،
 وشيدت في الفتنة صرحك ، واختلّت عارضا رُمحك ، فان بني عمك فيهم رماح ،
 وما منهم الا من يتقلد الصفّاح ، ويجيل في الحرب فائز القيدّاح .

والله تعالى يسدّد سهام الامة الساعية فيما يحبه ويرضاه ، ويُخمد ضرام الفشة
 الباغية حتى تقوى الى أمر الله . والسلام .

وبعث حمودة باشا بهذه الرسالة الى القائم الوهابي فلم يجب عنها . ولجّ في حروبه
 وقتاله ، الى أن كانت الهزيمة آخر حاله ، على يد رجل الدنيا وواحد الطائر الصيت
 في جهات المعمور ، من ردّ الله به مصر الى شبابها ، رد شباب امرأة العزيز ليوسف
 الصديق ، وهو أبو عبد الله محمد علي باشا ، عزيز مصر ، رحمه الله .

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التى نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية اعداد صفحاتها

- ١- جرد عم من لقرآن الكريم ٣٢
- ٢- تفسير سورة البقرة (شيخ راده) ٦٠٤
- ٣- الإيمان والاسلام ٩٦
- ٤- القول الفصل شرح الفقه الاكبر ٤١٦
- ٥- نخبة اللآلى لشرح بدأ الامالى ١٤٤
- ٦- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية (الجز الاول) ٤٣٦
- ٧- علماء المسلمين والواهابيون ١٥٦
- ٨- فتاوى الحرمين برجف ندوة المين ١٢٨
- ٩- هدية المهديين ويليهِ المتنوع القاديانى ١٩٢
- ١٠- المنقذ من الضلال و يليهِ الجوامع العوام عن علم الكلام و يليهِما تحفة الاريب ٢٥٦
- ١١- المنتخبات من المكتوبات للامام الربانى ٢٥٦
- ١٢- مختصر (التحفة الإثني عشرية) ٣٥٢
- ١٣- الساهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية و يليهِ الحجج لقطعية ١٨٤
- ١٤- خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق ٣٢٠
- ١٥- المنحة الوهبية في رد الوهابية ١٧٦
- ١٦- البصائر لمنكرى التوسل باهل المقابر ٢٦٤
- ١٧- فتنة الوهابية وبيها الصواعق الإلهية و يليهِما سيف الجبار ٢٥٦
- ١٨- تطهير الفؤاد و يليهِ شفاء السقام ٢٥٦
- ١٩- لفجر الصادق في الرد على منكرى لتوسل والكرامات والخورق .. ١٩٢
- ٢٠- الحبل المتين في اتباع السلف الصالحين ١٣٦
- ٢١- خلاصة الكلام في بيان امراء البدع الحرام (من الجزء الثانى) ٢٢٤
- ٢٢- التوسل بالنبي وبالصالحين و يليهِ التوسل ٣٣٦
- ٢٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية ١٧٦
- ٢٤- سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلالة ٢٠٨
- ٢٥- الانصاف في بيان سبب الاختلاف و يليهِ عقد الجيد ١٩٢
- ٢٦- المستند المعتمد بناء نجاة الابد ٢٧٢

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اعداد صفحاتها

الكتب العربية

- ٢٧- الاستاذ المودودي وييه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية ١٢٨
- ٢٨- كتاب الأيمان (من رد المحتار) ٢٠٨
- ٢٩- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول) ٣٩٢
- ٣٠- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثاني) ٣٢٠
- ٣١- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث) ٣٥٢
- ٣٢- الأدلة القواطع على الزام العربية في التوايع ١٢٠
- ٣٣- البريقة شرح الطريقة و يليه منهل الواردين من بحار الفيض
على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض ٢٨٨
- ٣٤- البهجة السنية في آداب الطريقة و يليه ارغام المريء ٢٢٤
- ٣٥- السعادة الابدية فيما جاء به التقشبندي
و يليه الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ٣٠٤
- ٣٦- مفتاح الفلاح و يليه خطبة عيد الفطر ١٩٢
- ٣٧- مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام ٥٩٢
- ٣٨- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الجلد الاول) ٤٤٨
- ٣٩- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين (من لجد الثاني) ١١٢
- ٤٠- اثبات النبوة و يليه الدولة المكية بالمادة الغيبية ٢٢٤
- ٤١- النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم ٢٣٢
- ٤٢- تسهيل المنافع و بهامشه الطب النبوى ٣٠٤
- ٤٣- الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية
و يليه المسلمون المعاصرون ٢٦٤
- ٤٤- كتاب الصلاة ٣٢
- ٤٥- صرف عربى وعوامل والكافية لابن الحاجب ١٦٨
- ٤٦- الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة ٣٣٦
- ٤٧- الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية ١٢٨
- ٤٨- نور الاسلام ٣٠٤
- ٤٩- الصراط المستقيم في رد النصارى ٨٠
- ٥٠- الرد الجميل في رد النصارى و يليه ايها الولد للغزنى ٩٦

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التي نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب الفارسية	اعداد صفحاتها
١- مكتوبات امام رباني (دفتر اول)	٦٧٢
٢- مكتوبات امام رباني (دفتر دوم و سوم)	٦٠٨
٣- منتخبات از مكتوبات امام رباني	٤١٦
٤- منتخبات از مكتوبات معصوميه	
و يليه مسلك مجدد الف ثاني (باترجمه اردو)	٣٩٢
٥- مبدأ ومعاد	٨٨
٦- كيمياي سعادت (امام غزالي)	٣٤٤
٧- رياض الناصحين	٣٨٤
٨- مكاتيب شريفه (حضرت عبدالله دهلوي)	٢٨٨
٩- در المعارف (ملفوظات حضرت عبدالله دهلوي)	١٦٠
١٠- رد وهابي و يليه سيف الابرار المسلول على الفجار	١٤٤
١١- الاصول الاربعة في ترديد الوهابيه	١٢٨
١٢- زبدة المقامات (بركات احمدية)	٤٢٤
١٣- مفتاح النجاة لاحد نامقي جامي	١٢٨
١٤- ميزان الموازين في امر الدين	٣٠٤

الكتب العربية مع الاردوية والفارسية مع الاوردية والاردية

١- طريق النجات (عربي مع اردو)	٢٥٦
٢- المدارج السننية في الرد على الوهابية	
و يليه العقائد الصحيحة في ترديد الوهابية التجديدية	١٩٢
٣- عقائد نظاميه (فارسي مع اردو) مع شرح قصيدة بدا الامالي	١٦٠
٤- تأييد اهل سنت (فارسي مع اردو)	٩٦
٥- الخيرات الحسان (اردو)	٢٢٤

BOOKS PUBLISHED BY HAKİKAT KİTABEVİ

(P.K.35 Fâtih, Istanbul-Turkey)

ENGLISH:

- 1 — Endless Bliss, I, 6th ed., 248 pp., 1985
- 2 — Endless Bliss II, 6th ed., 296 pp., 1985
- 3 — Endless Bliss III, 5th ed., 160 pp., 1985
- 4 — Endless Bliss IV, 6th ed., 326 pp., 1985
- 5 — Endless Bliss V, 4th ed., 152 pp., 1985
- 6 — The Religion Reformers in Islam, 6th ed., 264 pp., 1986
- 7 — The Sunni Path, 10th ed., 96 pp., 1986
- 8 — Belief and Islam, 10th ed., 96 pp., 1986
- 9 — Evidences for Prophethood and Answer to a University Student, 6th ed., 128 pp., 1985
- 10 — Answer to an Enemy of Islam, 9th ed., 128 pp., 1986
- 11 — Advice for the Muslim, 6th ed., 320 pp., 1985
- 12 — Islam and Christianity, 1st ed., 200 pp., 1986

FRENCH:

- 1 — Al rad al jamil, Ayyuha'l-walad (Al-Gazâli), 1st ed., 104 pp., 1986
- 2 — Islam et la voie d'ahl-i Sunnat, 4th ed., 88 pp., 1983
- 3 — Foi et Islam, 5th ed., 104 pp., 1983
- 4 — Islam et christianisme, 1st ed., 1986
- 5 — L'Evidence de La Prophétie, 2nd ed., 80 pp., 1980

GERMAN:

- 1 — Islam und der Weg der Sunniten, 4th ed., 96 pp., 1986
- 2 — Glaube und Islam, 3rd th., 72 pp., 1986
- 3 — Islam und Christentum, 1st ed., 1986

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

هذا الكتاب (الحقائق الإسلامية في الرد على المزايم الوهابية) ألفه مالك بن داود مدير (مدرسة العرفان) بمدينة «كوتيا» بجمهورية «مالي» الواقعة في قارة أفريقيا سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٣ م. يقول المؤلف في كتابه هذا: «أن المسلمين افترقوا على فرق متعددة عبر التاريخ إلا أنهم لم يكفروا مخالفهم من المسلمين ولكن بعد ظهور فرقة الوهابية منذ حوالي مائتين (٢٠٠) عاما كفروا من المسلمين من خالفهم ونصحهم بألا يغالوا في الأمر وألا يقوموا بالتفرقة بين المسلمين وذكروهم بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قال لعامة المسلمين (أمتي) وطلبهم بأن يعدلوا عن هذه الفكرة ودعاهم إلى الحب والتأخي والتضامن والتساند الإسلامي والعمل سويا من أجل هذا الهدف وقد أثبتت فم بالإدلة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن ديننا يدعونا ويأمرنا بالإتحاد والمعاونة.»

مكتبة الحقيقة

This work, *Al-haqâ'iq al-Islamiyya fi 'r-raddi 'ala 'l-mazâ'imi 'l-Wahhâbiyya*, was written by Mâlik bân Dâwud, Director of *Madrasat al-'Irfân* in Koutiula, Republic of Mali, Africa, in 1403 A.H. (1983). In this book, he states that, though Muslims have been divided in various groups, in the course of history, they all called one another "Muslims", that the Wahhâbis, who came about two centuries ago, say "unbelievers" or "polytheists" for all the Muslims who do not follow their path; he advises them that they should not be excessive and disunionist as such. He reminds that our prophet said "My Ummat" for all Muslims regardless of their group; he urges that the Wahhâbis should get rid of such disunionism and that all Muslims should love one another and work as brother hand in hand. The author documents with âyats and hadiths that Islam commands uniting and cooperation.

İşbu (El-hakâik-ul-islâmiyye firreddi-alel-mezâ'im-il-vehhâbiyye) kitâbını Afrikada Mali Cumhûriyetinin Koutiala şehrindeki (Medrese-tül irfân) müdürü Mâlik beh bin Dâvud 1403 [m.1983] senesinde yazmıştır. Bu kitâbında, müslümanlar târih boyunca çeşitli fırkalara ayrılmışlar ise de, hepsinin birbirlerine müslüman dediklerini, ancak ikiyüz sene önce ortaya çıkan vehhâbilerin, kendilerine uymıyan bütün müslümanlara kâfir, müşrik dediklerini bildirmekde, böyle taşkınlık, bölücülük yapmamaları için, onlara nasihat vermektedir. Peygamberimizin, hangi fırkada olursa olsun, bütün müslümanlara (Ümmetim) dediğini hatırlatmakda, vehhâbilerin böyle bölücülükden vazgeçmesini, bütün müslümanların sevimelerini, elele vererek, kardeş olarak çalışmalarını istemekdedir. DİNİMİZİN birleşmeği, yardımlaşmağı emr etdiğini, âyet-i kerîmeler ve hadîs-i şerîflerle isbât etmektedir. Kitap arabçadır. İçinde osmanlıca yazı hiç yoktur.

Hakikat Kitâbevi